إعمال الفكرة في حديث الهجرة

للشيخ العلامة
محمد بن أحمد عاموه

دار أبي حنيفة

إعمال الفكرة
في
حديث الهجرة

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٦م

دار أبي حنيفة
للنشر والتوزيع
اليمن - الحديدة
يطلب من
السيد عمار / ٧٣٤٥٩٧٨٩٦
لؤي الحنفي / ٢٠ ٠٢٤٣ ٧٧٧
e-mail: daroabihanifah@gmail.com

إعمال الفكرة في حديث الهجرة

للشيخ العلامة

محمد بن أحمد عاموه

حفظه الله تعالى

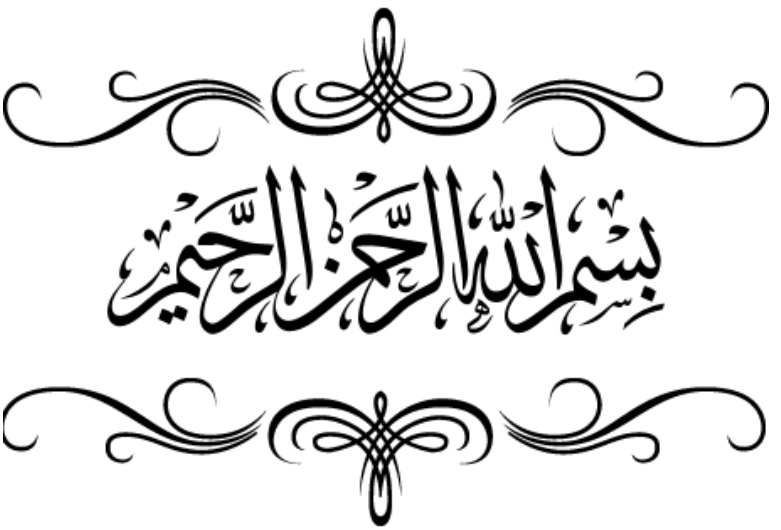
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين أما بعد ...

فإن الهجرة النبوية حدث تأريخي هام ونقطة تحول في تأريخ الدعوة والداعية تركت آثارها في واقع المسلمين فهي وبدر الكبرىٰ والفتح الأكبر في مرتبة واحدة وإن كان ما بعدها هو متفرع عنها وتابع لها في التاريخ.

وقد خدمت السيرة النبوية في كتب كثيرة ومباحث متنوعة وكانت الهجرة النبوية إما باباً أو فصلاً من فصول هذه الكتب الكثيرة فأحببت أن أفرد هذا الحدث العظيم في رسالة مستقلة خدمة للجناب المحمدي وإظهاراً لأسرار هذه الحادثة العظيمة حادثة الهجرة الشريفة وفي الحقيقة ليس هذا الفعل بدعاً من العمل فقد أفردت جزئيات كثيرة في السيرة النبوية بالتأليف كالمولد والإسراء والمعراج والشمائل المحمدية ... الخ.

وقد سميت هذه الرسالة إعمال الفكرة في حدث الهجرة والله أسأل أن ينفع بها ويكتب لها القبول إنه أعظم مأمول وأكرم مسئول آمين وصلىٰ الله على سيدنا محمد وآله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

مدخل

روىٰ البخاري في صحيحه[1] عن سلمان الفارسي ﷺ قال (فترة بين عيسىٰ ومحمد عليهما السلام ست مائة سنة) الفترة هي المدة التي لا يبعث فيها رسول من الله تعالىٰ.

في هذه الفترة أظهرت النفوس إلحادها ونصبت الجاهلية أشراكها فأراد الله رحمة عباده فأكرمهم بأشرف خلقه وأعظم رسله فولد النبي ﷺ من أبوين كريمين عبدالله وآمنة وكانت ولادته يوم الاثنين بلا خلاف في ليلة الثاني عشر من ربيع الأول وهذا هو القول المشهور الذي عليه المعول بمكة المكرمة في شعب أبي طالب وضعته أمه وهو مستقبل القبلة واضعاً يديه علىٰ الأرض رافعاً رأسه إلىٰ السماء مختوناً مسروراً أي مقطوع السرة ليس عليه شيء من قذر الولادة وهذا مشهور معلوم عند أهل السير ونشأ بمكة وعرفه أهلها وشهدوا له بالصدق والأمانة.

قال علماء السير رحمهم الله وكانت رسالته علىٰ رأس الأربعين من مولده ولما بعث ﷺ أخفىٰ أمره وجعل يدعو أهل مكة ومن أتىٰ إليها سراً فآمن به ناس من ضعفاء الرجال والنساء والموالي وهم أتباع الرسل كما في حديث أبي سفيان عن هرقل وهو في البخاري بطوله فلقوا من المشركين في ذات الله تعالىٰ أنواع الأذىٰ فما ارتد أحد منهم عن دينه ولا التوىٰ ولذلك أشار ﷺ بقوله (إن هذا الدين بدأ غريباً

---

(١) حديث رقم ٣٧٣٢.

وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء)[1] نعوذ بالله من الفتن والمحن ما ظهر منها و ما بطن.

وفي السنة الرابعة من مبعثه ﷺ نزل قوله تعالى ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾(الحجر) فامتثل ﷺ أمر ربه وأظهر الدعوة إلى الله تعالى وهنا عند إظهار النبي ﷺ دعوة الخلق إلى الحق سبحانه وتعالى أنكر قومه عليه وحينما أظهر النبي ﷺ بطلان أصنامهم أجمعوا له ولأتباعه الكرام الشر وبدأ التعذيب لأصحابه الكرام رضوان الله عليهم والتآمر والإيذاء له ﷺ حتى أذن الله بالهجرة.

(١) أخرجه مسلم برقم ١٤٥-٢٣٢عن أبي هريرة رضي الله عنه.

مقدمة
في تعريف الهجرة وأسبابها وأنواعها وأقسامها

أولاً تعريف الهجرة: الهجرة بكسر الهاء
لغة:

الترك والانتقال إلى الشيء عن غيره وأصل الهجرة ترك الوطن وأكثر ما تطلق على من رحل من البادية إلى القرية.

وشرعاً:
مفارقة دار الكفر إلى دار الإسلام خوف الفتنة وطلب إقامة الدين.

والهجرة في الحقيقة مفارقة ما يكرهه الله تعالى إلى ما يحبه في الصحيحين عنه ﷺ (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهاه الله عنه).

وقد وقعت الهجرة في الإسلام على وجهين:
الأول

الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن كما في هجرتي الحبشة وابتداء الهجرة من مكة إلى المدينة.

الثاني

الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام وذلك بعد أن استقر النبي ﷺ بالمدينة وهاجر إليه مَنْ أمكنه ذلك من المسلمين وكانت الهجرة إذ ذاك تختص بالانتقال إلى المدينة شرطاً في صحة الإسلام إلى أن فتحت

مكة فانقطع الاختصاص وبقي عموم الانتقال من دار الكفر لمن قدر عليه باقياً إلى يوم القيامة على جهة الوجوب ليس شرطاً في الإسلام[1].

والهجرة إذا أطلقت وعرفت تنصرف إلى الهجرة من مكة إلى المدينة معه ﷺ وهذا باعتبار الأعم والأغلب وإلا فهناك مهاجرون من غير مكة إلى المدينة.

ثانياً أسباب عامة للهجرة: للهجرة أسباب عامة منها:

١- اضطهاد المؤمنين:

لما كثر المسلمون وظهر الإيمان ثار المشركون من كفار قريش بمن آمن من قبائلهم يعذبونهم عذاباً كبيراً ولقد أسرفت قريش في اضطهاد المؤمنين وإيذائهم وتفننت في ذلك وتنوعت بأساليبها ولا أحد يقول كفوا ولا أحد يقول ارحموا إنه الكفر الذي لا يعرف الرحمة إنه الكفر الذي يبغض الإيمان بغضاً شديداً ويكره القيم كرهاً عنيداً وهاك بعض صور التعذيب والاضطهاد.

(أ) أبو بكر الصديق رضي الله عنه

روت عائشة رضي الله تعالى عنها أنه لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألح أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ في الظهور فقال يا أبا بكر إنا قليل فلم يزل أبوبكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس فكان أول خطيب دعا إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوهم في نواحي المسجد ضرباً شديداً ووطئ أبو بكر وضرب ضرباً شديداً ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين

(١) انظر كوثر المعاني ج١صـ١٤٣:١٤٤.

مخصوفتين ويحرفهما لوجهه ونزا على بطن أبي بكر ﷺ حتى ما يعرف وجهه من أنفه وجاءت بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر وحملت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة (والده) وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب فتكلم آخر النهار فقال ما فعل رسول الله ﷺ فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه وقالوا لأمه أم الخير انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه فلما خلت به ألحت عليه وجعل يقول ما فعل رسول الله ﷺ قالت والله مالي علم بصاحبك فقال اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبدالله فقالت ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبدالله وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك قالت نعم فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دنفا فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت والله إن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر إنني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم قال فما فعل رسول الله ﷺ قالت هذه أمك تسمع قال فلا شيء عليك منها قالت سالم صالح قال أين هو؟ قالت في دار الأرقم قال فإن لله عليَّ أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله ﷺ فأمهلتا حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجتا به يتكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ فقال فأكب عليه رسول الله ﷺ فقبله وأكب عليه المسلون ورق لـه رسول الله ﷺ رقة شديدة فقال أبو بكر بأبي وأمي يا رسول الله ليس بي بأس إلاَّ ما نال الفاسق من وجهي وهذه أمي برة بولدها وأنت مبارك فادعها إلى الله وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار قال فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت (السيرة النبوية لابن كثير رحمه الله والإصابة للحافظ ابن حجر والكاندهلوى في حياة الصحابة).

(ب) بلال ﷺ

أخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن ابن مسعودﷺ قال أول من أظهر الإسلام سبعة رسول اللهﷺ وأبو بكر وعمار وأمه سميه وصهيب و بلال و المقدادﷺ فأما رسول اللهﷺفمنعه الله بعمه وأما أبوبكر منعه الله بقومه وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس فما منهم من أحد إلاّ وقد أتاهم على ما أرادوا إلاّ بلالا فإنه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحدٌ أحد كذا في البداية وأخرجه أيضاً الحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي صحيح وأخرجه أبو نعيم في الحلية وابن أبي شيبة كما في الكنز وابن عبد البر في الاستيعاب من حديث ابن مسعودبمثله[1] .

(ج) عمار بن ياسر وأبوه وأمه رضي الله عنهم

كان والد عمار ياسر من بني عنس من قبائل اليمن قدم مكة وأخواه الحارث ومالك يطلبون أخاً لهم فرجع الحارث ومالك إلى اليمن وأقام ياسر بمكة وحالف أبا حذيفة ابن المغيرة المخزومي فزوجه أبو حذيفة أمة له يقال لها سمية بنت خياط فولدت له عماراً فأعتقه أبو حذيفة الذي لم يلبث أن مات وجاء الإسلام فأسلم ياسر وسمية وعمار وأخوه عبدالله بن ياسر فغضب عليهم مواليهم بنو مخزوم غضباً شديداً صبوا عليهم العذاب صبا كانوا يخرجونهم إذا حميت الظهيرة فيعذبونهم برمضاء مكة ويقلبونهم ظهراً لبطن فيمر عليهم الرسول ﷺ وهم يعذبون فيقول صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة وجاء أبو جهل إلى سمية فقال لها ما آمنت بمحمد إلا لأنك عشقته لجماله فأغلظت له القول فطعنها بالحربة في ملمس العفة فقتلها فهي أول شهيدة في

(١) حياة الصحابة للكاندهلوي.

الإسلام رضي الله عنها وبذلك سطرت بهذا الموقف الشجاع أعلى وأغلى ما تقدمه امرأة في سبيل الله لتبقى كل امرأة مسلمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها ترنو إليها ويهفو قلبها إلى الاقتداء بها فلا تبخل بشيء في سبيل الله بعد أن جادت سمية بنت خياط بدمها في سبيل الله ا.هـ[1].

وقد جاء في حديث عثمان ﷺ قال أقبلت مع رسول الله ﷺ آخذاً بيدي نتمشى بالبطحاء حتى أتى على آل عمار بن ياسر فقال أبو عمار يا رسول الله الدهر هكذا؟ فقال له النبي ﷺ اصبر ثم قال (اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت) قال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح.

ثم لم يلبث ياسر أن مات تحت العذاب.

والقصص في هذا كثيرة انظرها في حياة الصحابة للكاندهلوي رحمه الله في الجزء الأول من صـ٢٥٩:٣١٦.

٢- الفتنة في الدين:

وليت الأمر اقتصر على التعذيب البدني والمالي بل ليته اقتصر على ما سوى الدين فلو كان الأمر كذلك لكان فيه شيء من الهوادة إلا أنه شمل كل شيء بما في ذلك الدين فأصبح المسلم يتعرض للفتنة في دينه بمعنى أن يعذب ليرتد عن الإسلام، ولقد بين القرآن الكريم أن المسلمين فعلاً قد تعرضوا للفتنة في دينهم فقال سبحانه وتعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾ ﴾ (النحل) وروي عن محمد بن عمار قال أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه فلما أتى رسول الله ﷺ قال ما

(١) السيرة النبوية لمحمد الصلابي.

وراء ك شيء؟ قال شر ما تُركِتُ حتىٰ نلت منك وذكرت آلهتهم بخير قال كيف تجد قلبك قال مطمئن بالإيمان قال إن عادوا فعد فنزلت ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ (النحل)[1].

٣- النيل من رسول الله ﷺ

لم يقف طغيان الشرك عند حد و إنما زاد واشتد حتىٰ وصل إلىٰ أن آذىٰ المشركون رسول الله ﷺ إيذاءً شديداً وصل للحرص علىٰ قتله يصور ذلك النصوص التالية:

فعن أبي هريرة قال: قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال فقيل نعم فقال واللات والعزىٰ لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن علىٰ رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب قال فأتىٰ رسول الله ﷺ وهو يصلي زعم ليطأ علىٰ رقبته قال فما فجئهم منه إلا وهو ينكص علىٰ عقبيه ويتقي بيديه قال فقيل له مالك؟ فقال إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة فقال رسول الله ﷺ (لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً) أخرجه مسلم وأحمد وعن عبدالله ﷺ قال بينما النبي ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش جاء عقبة بن أبي معيط بسلىٰ جزور فقذفه علىٰ ظهر النبي ﷺ فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره ودعت علىٰ من صنع فقال النبي ﷺ (اللهم عليك الملأ من قريش أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف أو أبي بن خلف شعبة الشاك) فرأيتهم قتلوا يوم بدر فألقوا في بئر غير أمية بن خلف أو أبي تقطعت أوصاله فلم يلق في البئر أخرجه البخاري.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال جاء جبريل إلىٰ النبي ﷺ ذات يوم وهو جالس حزيناً قد خضب بالدماء ضربه بعض أهل مكة قال فقال

---

(١) النفحات النورانية للشيخ يوسف الخطار.

له مالك؟ فقال له فعل بي هؤلاء وفعلوا قال فقال له جبريل أتحب أن أريك آية قال نعم فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال ادع بتلك الشجرة فدعاها فجاءت تمشي حتى قامت بين يدى فقال مرها فلترجع فرجعت إلى مكانها فقال رسول الله ﷺ حسبي أخرجه أحمد ا.هـ النفحات النورانية صـ٢١:٢٢.

قال ابن الأثير في تاريخه المسمى بالكامل ج١صـ٦٦٧ ذكر المستهزئين ومن كان أشد الأذى للنبي ﷺ وهم جماعة من قريش عمه أبو لهب عبد العزى بن عبدالمطلب كان شديداً عليه وعلى المسلمين عظيم التكذيب لـه دائم الأذى فكان يطرح العذرة والنتن على باب النبي ﷺ وكان جاره فكان رسول الله ﷺ يقول أي جوار هذا يا بني عبدالمطلب فرآه يوماً حمزة فأخذ العذرة وطرحها على رأس أبي لهب فجعل ينفضها عن رأسه ويقول صاحبي أحمق وأقصر عما كان يفعله لكنه يضع من يفعل ذلك ثم عدد ابن الأثير هؤلاء المؤذين للنبي ﷺ فعد منهم الأسود بن عبد يغوث ابن خال النبي ﷺ والحارث بن قيس المعروف بابن الفيطلة وهى أمه والوليد بن المغيرة وأمية وأبي ابنا خلف وكانا على شر ما عليه أحد من أذى رسول الله ﷺ وتكذيبه ومنهم أبو قيس بن الفاكه والعاص بن وائل السهمي والنضر بن الحارث بن علقمة وأبو جهل بن هشام كان أشد الناس عداوة للنبي ﷺ وأكثرهم أذى لأصحابه ومنهم نُبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان وكانا على ما كان عليه أصحابهما من أذى رسول الله والطعن عليه ثم استرسل في ذكر باقيهم[1] وقد عقد الكاندهلوي رحمه الله باباً في تحمل النبي ﷺ الأذى في الدعوة إلى الله فراجعه من حياة الصحابة[2].

---

(١) انظر الكامل في التاريخ ج١صـ٦٦٧:٦٧٣.
(٢) حياة الصحابة ج١صـ٢٤٢:٢٥٩.

٤- عدم ملاءمة المناخ للدعوة

إن هدف كل رسول يصطفيه الله سبحانه أن يبلغ ما أمر به امتثالاً لأمر الله وتنفيذاً لما وجب عليه وإذا كان الرسل هم أكثر الناس مثالية بل هم دعاة المثالية فإنهم يحرصون كل الحرص على تنفيذ ما وجب عليهم وهذا هو السر في تفانيه ﷺ في تبليغ الدعوة وحرصه على امتثال قومه حتى قال الله له ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾ (فاطر: ٨) وقال تعالى ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾ (الكهف).

فإذا كان هذا حال الرسول ﷺ تفان في التبليغ وحرص على الاستجابة وحال مشركي مكة هكذا تفان في الصد عن سبيل الله وإعراض عن الاستجابة فإن مكة أصبحت بيئة لا تصلح لانطلاق الدعوة منها ومناخها غير ملائم لانطلاقة إسلامية تعم العالم ومن هنا ولهذه الأسباب مجتمعة كانت الهجرة[1].

ثالثاً أنواع الهجرة:

الهجرة أنواع

١- هجرة الوطن فراراً من الفتنة في الدين.

٢- هجرة الوطن للجهاد.

٣- هجرة الوطن لغرض شرعي.

رابعاً أقسام الهجرة:

انحصرت أقسام الهجرة في:

١- الهجرة إلى الحبشة وهي على ضربين:

أ- الهجرة الأولى إلى الحبشة.

ب- الهجرة الثانية إلى الحبشة.

---

(١) النفحات النورانية صـ٢٢.

٢- هجرة النبي ﷺ إلى الطائف.
٣- الهجرة إلى المدينة المنورة.

وهاك الكلام على هذه الأقسام في ثلاثة أبواب:

الباب الأول الهجرة إلى الحبشة:

الهجرة إلى الحبشة انقسمت إلى قسمين الهجرة الأولى والثانية وقبل الكلام على الهجرتين هاك هذه المباحث.

المبحث الأول:

أسباب للهجرة إلى الحبشة غير الأسباب المتقدم ذكرها.

١- نشر الدعوة خارج مكة قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله (ومن ثم كان يبحث الرسول ﷺ عن قاعدة أخرى غير مكة قاعدة تحمي هذه العقيدة وتكفل لها الحرية ويتاح فيها أن تتخلص من هذا التجميد الذي انتهت إليه في مكة حيث تظفر بحرية الدعوة وحماية المعتنقين لها من الاضطهاد والفتنة وهذا في تقديري كان هو السبب الأول والأهم للهجرة ولقد سبق الاتجاه إلى الحبشة حيث هاجر إليها كثير من المؤمنين الأوائل والقول بأنهم هاجروا إليها لمجرد النجاة بأنفسهم لا يستند إلى قرائن قوية فلو كان الأمر كذلك لهاجر إذن أقل الناس وجاهة وقوة ومنعة من المسلمين غير أن الأمر كان على الضد من هذا فالموالي المستضعفون الذين كان ينصب عليهم معظم الاضطهاد والتعذيب والفتنة لم يهاجروا إنما هاجر رجال ذوو عصبيات لهم من عصبيتهم – في بيئة قبلية – ما يعصمهم من الأذى ويحميهم من الفتنة ....)[1] وقد وافق جماعة من المتأخرين سيد قطب رحمه الله على كون فتح مجال للدعوة في الحبشة سبب من أسباب هجرة الحبشة ويقوي

(١) في ظلال القرآن.

هذا الرأي إسلام النجاشي وإسلام آخرين من أهل الحبشة وأمر آخر فإذا كان ذهاب المهاجرين للحبشة بمشورة النبي ﷺ وتوجيهه فبقاؤهم في الحبشة إلى فتح خيبر بأمر النبي ﷺ وتوجيهه وفي صحيح البخاري فقال جعفر للأشعريين حين وافقوه بالحبشة إن رسول الله ﷺ بعثنا هنا وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا، وهذا يعني أنهم ذهبوا لمهمة معينة ولا أشرف من مهمة الدعوة لدين الله (انظر السيرة النبوية للشيخ على محمد الصلابي)

٢- البحث عن مكان آمن للمسلمين كان النبي ﷺ يحرص على المحافظة على الصفوة المؤمنة وكان النبي ﷺ يرى الحبشة مكاناً آمنًا للمسلمين فأذن لهم بالهجرة إليها ووجدوا بها مأمنهم وفي هذا تقول أم سلمة رضي الله عنها لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى (انظر السيرة النبوية لابن هشام).

المبحث الثاني
أسباب اختيار النبي ﷺ للحبشة

هناك أسباب عديدة أدت إلى اختيار النبي ﷺ للحبشة منها:

٢،١- النجاشي العادل النجاشي الصالح.

فقد ورد عن النبي ﷺ ثناؤه على ملك الحبشة بقوله وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي لا يظلم أحد بأرضه) وكان يثني عليه -أي يشيع عنه- مع ذلك صلاح ويظهر هذا الصلاح في حمايته للمسلمين وتأثره بالقرآن الكريم عندما سمعه من جعفر رضي الله عنه وكان معتقده في عيسى عليه السلام صحيحاً (السيرة النبوية للصلابي).

٣- الحبشة متجر قريش

قال الطبري في معرض ذكره لأسباب الهجرة للحبشة(وكانت أرض الحبشة متجراً لقريش يتجرون فيها يجدون فيها رفاغاً من الرزق وأمناً ومتجراً حسناً)[1] والرفاغ سعة العيش والخصب.

فيستفاد من هذا أن الحبشة كانت من أهم مراكز التجارة فربما عرفها بعض المسلمين عندما ذهبوا إليها في التجارة أو ذكرها لهم من ذهب إليها قبلهم.

٤- الحبشة بلد آمن

لم يكن في خارج الجزيرة بلد أكثر أمنا من بلاد الحبشة والحبشة لم تكن تحت سطوة قريش ولا تدين لقريش بالاتباع بل كانت كما قال ﷺ لأصحابه لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه[2] وفي

---

(١) تاريخ الطبري.

(٢) انظر سيرة ابن هشام وسيرة ابن إسحاق.

رواية إن بها معاشاً وسعة وملكاً عادلاً لا يسلم جاره[1] وكونها أرض صدق وملكها عادل لا يظلم أحد ولا يسلم جاراً من أهم صفات البلد الآمن.

٥- محبة الرسول ﷺ للحبشة ومعرفته بها

ففي حديث الزهري أن الحبشة كانت أحب الأرض إلى رسول الله ﷺ أن يهاجر إليها وتعود هذه المحبة لأسباب منها:

(أ) عدالة النجاشي.

(ب) التزام أهل الحبشة بالنصرانية وهي أقرب إلى الإسلام من الوثنية.

(ج) معرفة الرسول ﷺ بأخبار الحبشة لكونه ﷺ كان خبيراً بطبائع وأحوال الدول التي في زمانه ولما كان يسمعه من حاضنته أم أيمن الحبشية من أخبار عن أرض الحبشة.

---

(١) انظر حدائق الأنوار وأخرجه البيهقي بنحوه.

الفصل الأول
الهجرة الأولى إلى الحبشة

١- تاريخها

غادر أصحاب رسول الله ﷺ مكة في رجب من السنة الخامسة للبعثة[١].

٢- عدد أفرادها

أول من هاجر منهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة وقيل امرأتان وقيل اثني عشر رجلاً وقيل عشرة وقد سرد ابن إسحاق أسماءهم فأما الرجال فهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وأبو حذيفة ابن عتبة ومصعب بن عمير وأبو سلمة ابن عبد الأسد وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وسهيل العامري قال فهؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى الحبشة.

وأما النسوة فهن رقية بنت النبي ﷺ وسهلة بنت سهل امرأة أبي حذيفة وأم سلمة بنت أبي أمية امرأة أبي سلمة وليلى بنت أبي حتمة امرأة عامر بن ربيعة واختلف في الحادي عشر أو العاشر هل هو أبو سبرة أو حاطب.

وأما ابن مسعود فجزم ابن إسحاق بأنه كان في الهجرة الثانية ويؤيده ما روى أحمد بإسناد حسن عن ابن مسعود قال بعثنا النبي ﷺ إلى النجاشي ونحن نحواً من ثمانين رجلاً فيهم عبدالله بن مسعود وجعفر بن أبي طالب وعبدالله بن عرفطة وعثمان بن مظعون وأبو موسى الأشعري...الحديث (انظر فتح الباري وسيرة النبي من القرآن الكريم والسنة الصحيحة لعبد الحميد طهماز).

---

(١) انظر فتح الباري.

٣- أميرهم

قال ابن هشام وبلغني أنه كان عليهم عثمان بن عفان ﷺ (انظر سيرة ابن هشام).

٤- أول الخارجين منهم

كان أول من خرج منهم عثمان بن عفان ﷺ وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ أخرج يعقوب بن سفيان بسند موصول إلى أنس ﷺ قال أبطأ على رسول الله ﷺ خبرهما فقدمت امرأة فقالت له لقد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار فقال ﷺ صحبهما الله إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط.

قال ابن حجر رحمه الله في الفتح وبهذا تظهر النكتة في تصدير البخاري الباب بحديث عثمان ﷺ[1].

٥- صفة الخروج ووسيلة النقل للحبشة

قال أهل السير أنهم خرجوا مشاة متسللين سراً إلى البحر فاستأجروا سفينة بنصف دينار وحاولت قريش أن تدركهم لتردهم إلى مكة وخرجوا في إثرهم حتى وصلوا البحر ولكن المسلمين كانوا قد أبحروا متوجهين إلى الحبشة[2].

---

(١) انظر فتح الباري.

(٢) انظر تاريخ الطبري وعيون الأثر لابن سيد الناس وابن القيم والزرقاني والصلابي وطهماز والفتح لابن حجر السيرة النبوية للصلابي

٦- وصولهم للحبشة

لما وصل المسلمون إلى أرض الحبشة أكرم النجاشي مثواهم وأحسن لقاءهم ووجدوا عنده من الطمأنينة والأمن مالم يجدوه في وطنهم وأهليهم (السيرة النبوية للصلابي).

٧- مدة إقامتهم بالحبشة

أقام المهاجرون بالحبشة أشهر رجب وشعبان ورمضان من السنة الخامسة من النبوة وفي شوال من السنة المذكورة عادوا إلى مكة أنظر تاريخ الهجرة لمحمود البيلاوي.

مبحث

في بيان أسباب العودة إلى مكة

عاش المسلمون ثلاثة أشهر من بدء الهجرة وحدث تغير كبير على حياة المسلمين في مكة وظروف نشأت لم تكن موجودة من قبل بعثت في المسلمين الأمل في إمكان نشر الدعوة في مكة ومن أهم تلك التغيرات ما يأتي:

١ - إسلام حمزة بن عبدالمطلب ﷺ

اعترض أبو جهل رسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العيب لدينه فذكر ذلك لحمزة بن عبد المطلب فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها ضربة شجه منها شجة منكرة وقامت رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه فقالوا ما نراك يا حمزة إلا قد صبأت فقال حمزة وما يمنعني وقد استبان لي منه أنا أشهد أنه رسول الله وأنَّ الذي يقول حق فوالله لا أنزع فامنعوني إن كنتم صادقين فقال أبو جهل دعوا أبا عمارة فإني والله لقد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً قال ابن إسحاق ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان فقال أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك للموت خير لك مما صنعت فأقبل على حمزة بثه وقال ما صنعت؟ اللهم إن كان رشداً فاجعل تصديقه في قلبي وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجا فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان حتى أصبح فغدا على رسول الله ﷺ فقال يا ابن أخي إني قد وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه وإقامة مثلي على ما لا أدري ما هو أرشد هو أم غي شديد فحدثني حديثاً فقد اشتهيت يا ابن أخي أن تحدثني فأقبل رسول الله ﷺ فذكره ووعظه وخوفه وبشره فألقى الله في نفسه الإيمان بما قال رسول الله ﷺ فقال أشهد أنك الصادق شهادة الصدق فأظهر يا ابن أخي

دينك فوالله ما أحب أن لي ما أظلت السماء وأني على ديني الأول فكان حمزة ﷺ ممن أعز الله به الدين ا.هـ.

فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع فكفوا عن بعض ما كانوا يتناولون منه وقال حمزة في ذلك شعراً:

حمدت الله حين هدى فؤادي إلى الإسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز خبير بالعباد بهم لطيف
إذا تليت رسائله علينا تحذر دمع ذي اللب الحصيف
رسائلُ جاء أحمدُ مِن هداها بآياتٍ مبينةِ الحروف
وأحمد مصطفى فينا مطاع فلا تغشوه بالقول الضعيف
فلا والله نسلمه لقوم ولما نَقِض فيهم بالسيوف
ونترك منهم قتلى بقاع عليها الطير كالوِردِ العكوف
وقد خبرت ما صنعت ثقيف به فجزى القبائل من ثقيف
إله الناس شرَ جزاءِ قومٍ ولا أسقاهُمَ صوب الخريف[1]

(١) انظر في قصة إسلام حمزة سيرة ابن هشام والبداية والنهاية لابن كثير ودلائل النبوة للبيهقي ومغازي ابن إسحاق والروض الأنف للسهيلي وغيرها.

٢- إسلام عمر بن الخطاب ﷺ

كان عمر بن الخطاب ﷺ شديداً على المسلمين يؤذيهم ويعذبهم ففي صحيح البخاري عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وهو ابن عم عمر بن الخطاب وزوج أخته وكان من السابقين إلى الإسلام قال والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقي على الإسلام قبل أن يسلم عمر ... الحديث ومعنى قوله وإن عمر لموثقي على الإسلام أي ربطه بسبب إسلامه إهانة له وإلزاماً للرجوع عن الإسلام وكأن السبب في ذلك أنه كان زوج فاطمة بنت الخطاب أخت عمر رضي الله عنهما ولهذا جاء في رواية أخرى[1] رأيتني موثقي عمر على الإسلام أنا وأخته وكان إسلام عمر متأخراً عن إسلام أخته وزوجها لأن أول الباعث له على دخوله إلى الإسلام ما سمعه في بيتها من القرآن في قصة ذكرها أهل السير وأخرجها الدارقطني عن أنس بن مالك ﷺ قال خرج عمر متقلداً السيف فقيل له إن ختنك وأختك قد صبوا فأتاهما عمر وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب وكانوا يقرؤون طه فقال أعطوني الكتاب الذي عندكم أقرأه وكان عمر يقرأ الكتاب فقالت له أخته إنك رجس ولا يمسه إلا المطهرون فقم واغتسل أو توضأ فقام عمر فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ طه، ثم ذهب عمر إلى النبي ﷺ فأسلم وأظهر إسلامه وأحدث إسلام عمر ﷺ تغييراً في المسلمين عبر عنه ابن مسعود بقوله مازلنا أعزة منذ أسلم عمر أخرجه البخاري.

وعند ابن هشام في السيرة إن إسلام عمر كان فتحاً وإن هجرته كانت نصراً وإن إمارته كانت رحمة ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه.

---

(١) رواها البخاري أيضاً في آخر باب إسلام عمر.

وأظهر إسلام عمر ﷺ أنه أحب الرجلين إلى الله تعالى فقد أخرج الترمذي في سننه أنه ﷺ دعا الله تعالى قائلا اللهم أعز الإسلام بأحب العمرين إليك عمر بن الخطاب أو أبي جهل بن هشام[1].

كان إسلام الرجلين العظيمين بعد الخروج إلى الحبشة فكان إسلامهما عزة للمسلمين وقهراً للمشركين وتشجيعاً لأصحاب رسول الله ﷺ على المجاهرة بعقيدتهم.

قال بعض علماء السير لقد رجع المهاجرون إلى مكة بسبب ما علموا من إسلام حمزة وعمر واعتقادهم إن إسلام هذين الصحابيين الجليلين سيعتز به المسلمون وتقوى شوكتهم أقول وثمة سبب آخر ذكره علماء السير وهو:

٣- نزول سورة النجم

لما أنزلت على النبي ﷺ سورة النجم وتلاها عليهم يبدو أن المشركين أخذوا بجلال التنزيل وقوة الإنكار فمرت بهم فترة خشوع وخضوع فسجدوا لله عندما أمروا بذلك في آخرها فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سجد النبي ﷺ بالنجم فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس وعن عبدالله ﷺ قال أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافراً هو أمية بن خلف (أخرجه البخاري) ووصل خبر هذا السجود إلى المهاجرين في الحبشة فظنوا أن المشركين من قريش قد أسلموا.

---

(١) انظر إسلام عمر في سيرة ابن هشام ومغازي ابن إسحاق والسيرة النبوية لطهماز وغيرها.

مبحث حال المهاجرين حينما عادوا إلى مكة

للأسباب المتقدم ذكرها رجع أكثر المهاجرين إلى مكة المكرمة وكان فيهم عثمان بن مظعون ﷺ أحد السابقين إلى الإسلام فلما دنوا منها تبين لهم أن ما بلغهم من إسلام أهل مكة كان باطلاً فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفياً.

مبحث حال قريش بعد إسلام حمزة وعمر وعودة المهاجرين رضي الله عنهم

واجهت قريش إسلام حمزة وعمر رضي الله عنهما بتدبيرات جديدة يتجلى فيها المكر والدهاء من ناحية والقسوة والعنف من ناحية أخرى فزادت في أسلحة الإرهاب التي تستعملها ضد النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم سلاحاً قاطعاً وهو سلاح المقاطعة الاقتصادية وقابلوا من عاد من المهاجرين إلى مكة بأشد العذاب وأعظم التعنيف وسطت بهم عشائرهم ونالوهم بالأذى واشتد عليهم ما بلغهم عن النجاشي من حسن جواره لهم ومن العجيب قصة عثمان بن مظعون رضي الله عنه الذي دخل مكة في جوار الوليد بن المغيرة ولكنه حينما رأى رضي الله عنه ما في أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة قال والله إن غدوي ورواحي آمنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص كبير في نفسي فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له يا أبا عبد شمس وفت ذمتك قد رددت إليك جوارك فقال له يا ابن أخي لعله آذاك أحد من قومي؟ قال لا ولكني أرضى بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره قال فانطلق إلى المسجد فاردد إليَّ جواري علانية كما أجرتك علانية فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد فقال الوليد هذا عثمان قد جاء يرد عليَّ جواري فقال صدق وجدته وفياً كريم الجوار ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله فقد رددت عليه جواره ثم انصرف عثمان إلى مجلس من مجالس قريش فيهم الشاعر لبيد بن ربيعة ينشدهم فجلس معهم عثمان فقال لبيد وكل نعيم لا محالة زائل قال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول قال لبيد بن ربيعة يا معشر قريش والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث ذلك فيكم! فقال رجل من

القوم إن هذا سفيه من سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله ثم قام إلى عثمان فلطم عينه فخضرها والوليد بن المغيرة قريب يرى ما قد بلغ عثمان فقال أما والله يا ابن أخي كانت عينك عما أصابها لغنية قال لقد كنت في ذمة منيعة فقال عثمان بلى والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر[1].

(١) انظر خبره في سيرة ابن هشام وغيرها.

الفصل الثاني
في الهجرة الثانية إلى الحبشة

قال ابن سعد[1] قالوا لما قدم أصحاب النبي ﷺ مكة من الهجرة الأولى اشتد عليهم قومهم وسطت بهم عشائرهم ولقوا منهم أذىً شديداً فأذن لهم رسول الله ﷺ في الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية فكانت خرجتهم الثانية أعظمها مشقة ولقوا من قريش تعنيفاً شديداً ونالوهم بالأذىً واشتد عليهم ما بلغهم عن النجاشي من حسن جواره لهم فقال عثمان بن عفان يا رسول الله فهجرتنا الأولى وهذه الآخرة ولست معنا؟ فقال رسول الله ﷺ أنتم مهاجرون إلى الله تعالى وإليَّ لكم هاتان الهجرتان جميعاً قال عثمان فحسبنا يا رسول الله ا.هـ.

وهاجر معهم كثيرون غيرهم أكثر منهم وعدتهم كما قال ابن إسحاق وغيره ثلاثة وثمانون رجلاً إن كان عمار بن ياسر فيهم واثنان وثمانون رجلاً إن لم يكن فيهم قال السهيلي[2] وهو الأصح عند أهل السير كالواقدي وابن عقبة وغيرهما ا.هـ.

وثماني عشرة امرأة إحدىٰ عشرة قرشيات وسبع غير قرشيات وذلك عدا أبناءهم الذين خرجوا معهم صغاراً ثم الذين ولدوا لهم فيها[3] وكانت أم سلمة وأم حبيبة رضي الله عنهما في المهاجرين إلى الحبشة وممن هاجر أيضاً جعفر بن أبي طالب مع زوجته أسماء بنت عميس وقد سرد ابن إسحاق أسماء أهل الهجرة الثانية إلى الحبشة وقد

---

(١) انظر طبقات ابن سعد.
(٢) في الروض الأنف.
(٣) انظر السيرة النبوية للصلابي.

أشاد النبي ﷺ بأهل الهجرتين أخرج البخاري أن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان.

مبحث محاولة قريش رد المهاجرين إليها وفشلها في ذلك

أزعج قريشاً رحيل المسلمين إلى الحبشة فقرروا أن يرسلوا إلى النجاشي وفداً يطلب منه رد المسلمين إلى بلدهم وكانت أم سلمة رضي الله عنها مع المهاجرين تحدثت عن ذلك فقالت لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم وأن يهدوا له هدايا مما يستظرف من متاع مكة فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي ثم إنهما قدما للنجاشي هداياهما فقبلها منهما ثم كلماه فقالا له: أيها الملك إنه قد ضوى إلى بلدك غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم لتردهم إليهم فهم أعلم بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه

قالت: فقالت بطارقته حوله صدقا أيها الملك قومهم أعلم بهم عيناً فأسلمهم إليهما فليردوهم إلى بلدهم وقومهم فغضب النجاشي وقال لاها الله إذن لا أسلمهم إليهما ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم وأسألهم عما يقول هذان في أمرهم

قالت ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا وقال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل إذا جئتموه قالوا نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا محمد ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن فلما جاؤوا وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم سألهم

فقال لهم ما هذا الدين الذي فارقتم فيه دين قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل فكلمه جعفر بن أبي طالب فقال له أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة (فعدد عليه أمور الإسلام) فصدقناه وآمنا به فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا فلما قهرونا وظلمونا خرجنا إلى بلادك واخترناك عمن سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك، فقال النجاشي هل معك مما جاء به عن الله شيء؟ قال نعم فقرأ عليه صدراً من سورة مريم فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم ثم قال النجاشي إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فو الله لا أسلمهم إليكما ولايكادون[1].

ووفد قريش هما عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد وهما من هما دهاءً في العرب أما عمرو بن العاص فإنه بعد ذلك كان يتردد على النجاشي ويجادله في الحق بعد ما تبين حتى أنار الله قلبه على يديه وشرح صدره للإسلام فأسلم بحضرة النجاشي وفيه يقال صحابي أسلم على يد تابعي إذا النجاشي لم يلق النبي ﷺ ورأى أصحابه فهو تابعي.

---

(١) السيرة النبوية من القرآن الكريم والسنة الصحيحة لعبد الحميد طهماز وقال سيرة ابن هشام باختصار وأخرجه أحمد في المسند من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

وأما عمارة بن الوليد فإنه تكبر أن يعود إلى قريش خائباً وانحطت أخلاقه في الحبشة حتى أنه حاول الاتصال بزوجة النجاشي حتى نال من عطرها فوشى به إليه فقال لولا أنه جاري لقتلته ولكني سأفعل به ما هو شر من القتل وكانت الحبشة مكتظة بالماهرين من السحارين فأمرهم فنفخوا في عورته نفخة طار منها هائماً على وجهه حتى لحق بالوحوش في الجبال فكان إذا رأى آدمياً ينفر منه واختل عقله وغط شعره وجهه وبدنه حتى أهلكه الله على الكفر واستجاب الله فيه دعاء نبينا محمد ﷺ.

(١) انظر تاريخ الهجرة للبيلاوي والأغاني للأصبهاني.

مبحث في اهتمام أبي طالب بالمهاجرين إلى الحبشة

قال ابن هشام بعد ذكر إرسال أهل مكة لعمرو وعمارة إلى النجاشي لإرجاع المهاجرين ما نصه فقال أبو طالب حين رأى ذلك في رأيهم وما بعثوهما فيه أبياتاً للنجاشي يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم

ألا ليت شعري كيف في النأي جعفر
وعمرو وأعداء العدو الأقارب
وهل نالت أفعال النجاشي جعفراً
وأصحابه أو عاق ذلك شاغب
تعلَّم أبيت اللعن إنك ماجد
كريم فلا يشقى لديك المجانب
تعلم بأن الله زادك بسطة
وأسباب خير كلها بك لازب
وأنك فيض ذو سجال غزيرة
ينال الأعادي نفعها والأقارب[1]

(١) انظر سيرة ابن هشام.

مبحث رَدة فعل المهاجرين تجاه أهل مكة

قال ابن هشام كان مما قيل من الشعر في الحبشة أن عبدالله ابن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم حين أمنوا بأرض الحبشة وحمدوا جوار النجاشي وعبدوا الله لا يخافون على ذلك أحداً وقد أحسن النجاشي جوارهم حين نزلوا به قال:

يا راكباً بلغن عني مغلغة[1] من كان يرجو بلاغ الله والدين
كل امرئ من عباد الله مضطهد ببطن مكة مقهور ومفتون
إنا وجدنا بلاد الله واسعة تنجي من الذل والمخزاة والهون
فلا تقيموا على ذل الحياة وخزىً في الممات وعيب غير مأمون
إنا تبعنا رسول الله واطرحوا قول النبي وعالوا في الموازين
فاجعل عذابك في القوم الذين بغوا وعائذ بك أن يغلوا فيطفوني

(١) رسالة.

وقال أيضاً:

وتلك قريش تجحد الله حقه كما جحدت عاد ومدين والحجر

فان أنا لم أبرق فلا يسعني من الأرض بر ذو فضاء ولا بحر

بأرض بها عبد الإله محمد أبين ما في النفس إذ بلغ النقر[1]

فسمي عبدالله بن الحارث ﷺ لبيته الذي قال المبرق.

(١) البحث.

خاتمة الباب الأول في ذكر بعض الفوائد

الفائدة الأولى في إسلام النجاشي

جاء في رواية أحمد لخبر عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد مع النجاشي ما نصه فقال النجاشي (بعد أن أوضح له جعفر طريق الهدى) يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ما يزيد على ما يقولون أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنه الذي بشر به عيسى في الإنجيل ثم قال مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده وأمر برد هدية عمرو وعمارة وردهما خائبين[1].

الفائدة الثانية

أرسل النبي ﷺ كتاباً مع عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي وهذا نصه كما رواه البيهقي عن ابن إسحاق بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه من روحه كما خلق آدم بيده وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله تعالى وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين والسلام على من اتبع الهدى.

---

(١) تاريخ الهجرة للبيلاوي.

فلما قرأ الكتاب قال لعمرو بن أمية حامل الكتاب أشهد بالله إنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب وإن بشارة موسىٰ براكب الحمار كبشارة عيسىٰ براكب الجمل وأن العيان ليس بأشفىٰ من الخبر عنه ولكن أعواني من الجيش قليل فأنظرني حتىٰ أكثر الأعوان وألين القلوب ثم كتب إلىٰ النبي ﷺ ما نصه بسم الله الرحمن الرحيم إلىٰ محمد رسول الله من النجاشي أصحمة سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركات الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فما ذكرت من أمر عيسىٰ لا يزيد علىٰ ما ذكر تغروقاً إنه كما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت علىٰ يديه لله رب العالمين وقد بعثت إليك بابني وإن شئت أتيتك بنفسي يا رسول الله فإني أشهد أنما تقولـه حـق والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

الفائدة الثالثة وصول الوفد الحبشي إلى المدينة

أرسل النجاشي وفداً من أهل الحبش فوق الستين عدداً وكانوا قسيسين ورهباناً فأكرمهم النبي ﷺ روىٰ الإمام البيهقي وابن إسحاق والقاضي عياض عن أبىٰ قتادة الأنصاري قال وَفَدَ وَفْدُ النجاشي فقام النبي ﷺ يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نحن نكفيك قال إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وأنا أحب أن أكافئهم.

الفائدة الرابعة في إسلام وفد الحبشة

لما سمع وفد الحبشة المذكور أفضل الخلق ﷺ يقرأ سورة يس دخل الإيمان في قلوبهم وبكوا من خشية الله وأسلموا لله رب العالمين وفي هؤلاء نزل قوله تعالى ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (المائدة).

الفائدة الخامسة وفاة النجاشي

توفي النجاشي على الإسلام في رجب سنة ٩هـ ونعاه النبي ﷺ إلى أصحابه من طريق الوحي الرباني وصلى عليه النبي ﷺ في المدينة المنورة صلاة الغائب فكان ذلك محض خصوصية له[1].

(١) هذا ما قرره الحنفية ويرى الشافعية عدم الاختصاص بل فيه مشروعية الصلاة على الميت الغائب بشروطه.

الباب الثاني
في هجرته ﷺ إلى الطائف

في هذا الباب مباحث أذكرها على النحو الآتي:

١ - مبحث حصار الشعب

لما رأى المشركون أن الصحابة ﷺ نزلوا أرض الحبشة وأصابوا فيها أماناً وأن حمزة وعمر أسلما ازداد إيذاء المشركين من قريش وبلغ الأذى قمته حين أجمعوا على قتل رسول الله ﷺ قال ابن إسحاق وموسى بن عقبة وغيرهما من أصحاب المغازي لما رأت قريش أن الصحابة قد نزلوا أرضاً أصابوا بها أماناً وأن عمر أسلم وأن الإسلام فشا في القبائل أجمعوا على أن يقتلوا رسول الله ﷺ فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بني هاشم وبني المطلب فأدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ومنعوه ممن أراد قتله فأجابوه إلى ذلك حتى كفارهم فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية فلما رأت قريش ذلك أجمعوا أن يكتبوا بينهم وبين بني هاشم والمطلب كتاباً أن لا يعاملوهم ولا يناكحوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ ففعلوا ذلك وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة وكان كاتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد الدار بن قصي فشلت أصابعه ويقال إن الذي كتبها النضر بن الحارث وقيل طلحة ابن أبي طلحة العبدري قال ابن إسحاق فانحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فكانوا معه كلهم إلا أبا لهب فكان مع قريش.

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله كان ذلك أول يوم من المحرم سنة سبع من البعثة قال ابن إسحاق فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً وجزم موسى بن عقبة بأنها كانت ثلاث سنين حتى جهدوا ولم يكن يأتيهم شيء من الأقوات إلا خفية حتى كانوا يؤذون من اطلعوا على

أنه أرسل إليهم شيئاً من الصلات إلى أن قام في نقض الصحيفة نفر من أشدهم في ذلك صنيعاً هشام بن عمرو بن الحارث العامري وكانت أم أبيه تحت هاشم بن عبد مناف قبل أن يتزوجها جده فكان يصلهم وهم في الشعب ثم مشى إلى زهير بن أبي أمية وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب فكلمه في ذلك فوافقه ومشيا جميعاً إلى المطعم بن عدى وإلى زمعة بن الأسود فاجتمعوا على ذلك فلما جلسوا بالحجر تكلموا في ذلك وأنكروه وتواطؤوا عليه فقال أبو جهل هذا أمر قضي بليل وفي آخر الأمر أخرجوا الصحيفة فمزقوها وأبطلوا حكمها وذكر ابن هشام أنهم وجدوا الأرضة قد أكلت جميع ما فيها إلا اسم الله تعالى وأما ابن إسحاق وموسى بن عقبة وعروة فذكروا عكس ذلك أن الأرضة لم تدع اسماً لله تعالى إلا أكلته وبقي ما فيها من الظلم والقطيعة وذكر الواقدي أن خروجهم من الشعب كان في سنة عشر من المبعث[1].

٢- مبحث وفاة أبي طالب وخديجة

(أ) وفاة أبي طالب

كانت وفاة أبي طالب بعد مغادرة بني هاشم شعبه وذلك في آخر السنة العاشرة من المبعث[2] وقد كان أبو طالب يحوط النبي ﷺ ويغضب له كما في البخاري وينصره كما في مسلم وكانت قريش تحترمه وعندما حضرته الوفاة جاء زعماء الشرك وحرضوه على الاستمساك بدينه وعدم الدخول في الإسلام قائلين أترغب عن ملة عبد المطلب؟ وعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام قائلاً قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة فقال أبو طالب لولا تعيرني بها قريش يقولون إنما حمله

(١) انظر السيرة النبوية لعبدالحميد طهماز.
(٢) انظر فتح الباري.

عليها الجزع لأقررت بها عينك فأنزل الله عزوجل ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (القصص)

(ب) وفاة خديجة رضي الله عنها

السيدة خديجة أول الناس إسلاماً وهي زوج رسول الله ﷺ ومناصرته توفيت قبل الهجرة إلى المدينة بثلاث سنين في العام نفسه لوفاة أبي طالب ولأجل هذا سمي هذا العام بعام الحزن.

٣- المبحث الثالث حال النبي ﷺ مع أهل مكة بعد وفاة عمه وزوجه

بموت أبي طالب الذي أعقبه موت خديجة رضي الله عنها تضاعف الأسى والحزن على رسول الله ﷺ بفقد هذين الحبيبين الذين كانا دعامتين من دعائم سير الدعوة في أزماتها كان أبو طالب السند الخارجي الذي يدفع عنه القوم وكانت السيدة خديجة رضي الله عنها السند الداخلي الذي يخفف عنه الأزمات والمحن فتجرأ كفار قريش على رسول الله ﷺ ونالوا منه ما لم يكونوا يطمعون فيه في حياة أبي طالب وابتدأت مرحلة عصيبة في حياة حبيبنا ورسولنا ﷺ واجه فيها كثيراً من المشكلات والمصائب والمحن والفتن حينما أصبح في الساحة وحيداً لا ناصر له إلا الله سبحانه وتعالى ومع هذا فقد مضى في تبليغ رسالة ربه إلى الناس كافة على ما يلقى من المعارضة والأذى الشديد الذي أفاضت كتب الحديث وكتب السير بأسانيدها الصحيحة الثابتة في الحديث عنه روى البخاري عن عروة بن الزبير قال سألت عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن أشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ فقال بينما يصلي في الحجر إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً فأقبل أبوبكر رضي الله عنه فأخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ وقال ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم

﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ غافر(٢٨) وتحمل سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ من ذلك ما تنوء الجبال بحمله ولما اشتد الأمر على رسول اللهﷺ في بلده وبين قومه عزم ﷺ على أن ينتقل إلى بلد غير بلده وقوم غير قومه يعرض عليهم دعوته ويلتمس منهم نصرته رجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به الله عز وجل فخرج إلى الطائف وهي من أقرب البلاد إلى مكة.

٤ – المبحث الرابع الهجرة إلى الطائف

(أ) تاريخها:

خرج النبي ﷺ إلى الطائف إلى ثقيف في السنة العاشرة للهجرة.

(ب) سبب اختيار الطائف:

اختار رسول الله ﷺ الطائف لأنها تحتل عمقاً استراتيجياً لملأ قريش بل كانت لقريش أطماع في الطائف ولقد حاولت في الماضي أن تضم الطائف إليها ووثبت على وادي وجّ وذلك لما فيه من الشجر والزرع حتى خافتهم ثقيف وحالفتهم وأدخلت معهم بني دوس وقد كان كثير من أغنياء مكة يملكون الأملاك في الطائف ويقضون فيها فصل الصيف وكانت قبيلة بني هاشم وعبد شمس على اتصال مستمر مع الطائف كما كانت تربط مخزوم مصالح مالية مشتركة بثقيف لكل هذه الأمور اختارها رسول الله ﷺ وفي هذا دلالة على حرص رسول الله ﷺ على الأخذ بالأسباب لإيجاد دولة مسلمة أو إيجاد قوة جديدة لأن الدولة أو إيجاد القوة التي لها وجودها من الوسائل المهمة في تبليغ دعوة الله إلى الناس.

(ت) رفيق رسول الله ﷺ في هذه الهجرة:

اختار النبي ﷺ في هذه الهجرة زيد بن حارثة ليكون رفيقه إلى الطائف وفي هذا الاختيار حرص على الجوانب الأمنية فزيد هو ابن رسول الله ﷺ بالتبني فإذا رآه معه أحد لا يثير ذلك نوع من الشك لقوة

الصلة بينهما كما أنه ﷺ عرف زيداً عن قرب فعلم فيه الإخلاص والأمانة والصدق فهو إذن مأمون الجانب فلا يفشي سراً ويعتمد عليه في الصحبة وهذا ظهر جلياً عندما كان زيد يقي النبي ﷺ الحجارة بنفسه حتى أصيب بشجاج في رأسه.

(ث) وسيلة النقل إلى الطائف:

كان خروجه ﷺ من مكة مشياً على الأقدام حتى لا تظن قريش أنه ينوي الخروج من مكة لأنه لو خرج راكباً فذلك مما يثير الشبهة والشكوك وأنه ينوي الخروج والسفر إلى جهة ما مما قد يعرضه للمنع من الخروج من مكة دون اعتراض من أحد.

(ج) إلى من توجه رسول الله بدعوته في الطائف:

قال ابن هشام في السيرة لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف عمد إلى نفر من قريش هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم إخوة ثلاثة عبد ياليل بن عمرو ومسعود بن عمرو وحبيب بن عمرو وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح غير أن بني عمرو كانوا شديدي الحذر وكثيري التخوف فلم يستجيبوا لدعوة الرسول ﷺ بل بالغوا في السفه وسوء الأدب معه فقام رسول الله ﷺ وقد يئس من خبر ثقيف وقال لهم إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني[1] وكره رسول الله أن يبلغ ذلك قومه فيشتد إيذاؤهم له ولكن ثقيف لم يكتموا عنه.

(ح) مدة إقامته ﷺ في الطائف:

أقام النبي ﷺ في الطائف شهراً يدعوهم إلى الله عز وجل[2].

---

(١) انظر سيرة ابن هشام.

(٢) أنظر حدائق الأنوار.

(خ) الرسول ﷺ يتحدث عن شدة ما ناله في الطائف:

عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت لرسول الله ﷺ يا رسول الله هل أتىٰ عليك يوم كان أشد من يوم أحد فقال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت علىٰ ابن عبد ياليل ابن عبد كلال- وهو من زعماء ثقيف فلم يجبني إلىٰ ما أردت فانطلقت وأنا مهموم علىٰ وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب - هو قرن المنازل علىٰ مرحلتين من مكة - فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم قال فناداني ملك الجبال وسلم عليّ ثم قال يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين - هما جبلا مكة أبو قبيس والجبل الذي يقابله - فقال له رسول الله ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً، أخرجه البخاري ومسلم.

فائدة:

قال العلماء جعل ﷺ ما ناله من الاستهزاء وشماتة الأعداء أشد مما لاقاه يوم أحد من قتل حمزة رضي الله عنه في سبعين من أصحابه رضي الله عنهم مع ما ناله في نفسه من الجراحة وما ذاك إلا أن نفس الكريم تتأذىٰ بالأذىٰ من القول والسب أشد مما تتأذىٰ به من الطعن والضرب.

(د) تضرعه ﷺ ودعاؤه:

كان بنو عمرو لئاماً فلم يكتموا خبر الرسول ﷺ بل أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويرمون عراقيبه بالحجارة حتىٰ دميت عقباه وتلطخت نعلاه وسال دمه الزكي علىٰ أرض الطائف وما زالوا

به ورفيقه زيد ابن حارثة حتىٰ ألجؤوهما إلىٰ حائط - أي بستان - لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه فكره النبي ﷺ مكانهما لعداوتهما لله ورسوله ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه واستظل النبي ﷺ ورفيقه في ظل شجرة من عنب وفي هذه اللحظة من الآلام والحزن توجه النبي ﷺ إلىٰ ربه عز وجل بهذا الدعاء العظيم الثابت عند ابن إسحاق وغيره من ثقات علماء السير المعروف بدعاء كشف الضر ونصه (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني علىٰ الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربىٰ إلىٰ من تكلني؟ إلىٰ بعيد يتجهمني[1] أم إلىٰ عدو ملكته أمري إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل عليَّ سخطك لك العتبىٰ[2] حتىٰ ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله) ويا له من دعاء عظيم يدل علىٰ عمق توحيد النبي ﷺ ومبلغ تجرده لله جل وعلا وقد أخرجه الطبراني في الدعاء وفي المعجم الكبير عن عبدالله بن جعفر وقال هذا مرسل لأن عبدالله بن جعفر ولد بالحبشة فلم يدرك ما حدث به لقوله لما توفي أبو طالب خرج النبي صلىٰ الله عليه وسلم ماشياً إلىٰ الطائف فدعاهم إلىٰ الإسلام فلم يجيبوه فأتي ظل شجرة من عنب فصلىٰ ركعتين ثم قال اللهم إليك أشكوا ... فذكر الدعاء بنحو ما ذكره ابن إسحاق.

(ذ) رحمة النبي ﷺ وشفقته:

كانت رحمته ﷺ وشفقته العظيمة هي التي تغلب في المواقف الصعبة فعندما ناداه ملك الجبال لتأمرني بأمرك فما شئت؟ إن شئت أن

---

(١) يلقاني بالغلظة والوجه الكريه.

(٢) الاسترضاء بالرجوع عن الذنب والإساءة.

أطبق عليهم الأخشبين قال له رسول الله ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً.

(ر) إكرام الله لنبيه ﷺ:

أكرم الله نبيه ﷺ بعد هذا العناء بكرامات منها إسلام عداس وإسلام الجن:

١- إسلام عداس:

تقدم أن النبي ﷺ استظل تحت شجرة في بستان ابني ربيعة فلما رآه عتبة وشيبة رقا له فدعوا غلاماً نصرانياً لهما يقال له عداس فأرسلا إليه قطفاً من العنب في طبق فلما دفع عداس العنب بين يدىٰ رسول الله ﷺ وقال له كل مد الرسول يده قائلا بسم الله ثم أكل فقال عداس متعجباً والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال له الرسول ﷺ ومن أي البلاد أنت؟ وما دينك؟ قال نصراني وأنا رجل من أهل نينوىٰ[1] فقال الرسول ﷺ من قرية الرجل الصالح يونس بن متىٰ فقال عداس وما يدريك ما يونس بن متىٰ فقال رسول الله ﷺ ذلك أخي كان نبياً وأنا نبي فأكب عداس علىٰ رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه[2]

٢- إسلام الجن:

لما أراد النبي ﷺ الرجوع إلىٰ مكة المكرمة منعته قريش من دخول مكة فاضطر إلىٰ البقاء بنخلة علىٰ الطريق بين الطائف ومكة فلما جن عليه ﷺ الليل وهو بنخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به النفر من

---

(١) قرية بالموصل من بلاد العراق.

(٢) انظر فقه السيرة للبوطي والأساس لسعيد حوىٰ وقال سند هذه القصة مرسل وانظر كذلك طبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام وقد نقل أهل التاريخ والسير أن عداساً عصىٰ سيديه يوم بدر عندما طلبا منه الخروج معهما إلىٰ قتال النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم.

الجن الذين ذكرهم الله تعالى وكانوا سبعة نفر من جن نصيبين فاستمعوا لتلاوة الرسول ﷺ فلما فرغ من صلاته ولوّا إلى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا فقص الله تعالى خبرهم على النبي ﷺ فقال تعالى ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الأحقاف) كان هذا الفتح الرباني في مجال الدعوة ورسول الله ﷺ ببطن نخلة عاجز عن دخول مكة تنتقل الدعوة إلى عالم آخر هو عالم الجن تلقوا دعوة النبي ﷺ ومضوا بها إلى قومهم كما مضى أبو ذر الغفاري إلى قومه والطفيل بن عمرو إلى قومه وضماد الأزدي إلى قومه فأصبح في عالم الجن دعاة يبلغون دعوة الله وأصبح اسم سيدنا محمد ﷺ تهفوا إليه قلوب الجن كما تهفوا إليه قلوب الإنس وأصبح من الجن حواريون حملوا راية التوحيد ووطنوا أنفسهم دعاة إلى الله وأنزل الله فيهم سورة تتلى إلى يوم القيامة فهل يستطيع عتاة مكة وثقيف أن يأسروا هؤلاء المؤمنين من الجن؟ وينزلوا بهم ألوان التعذيب[1].

٥- المبحث الخامس دخول النبي ﷺ مكة:

قال ابن هشام في سيرته إنه ﷺ لما انصرف عن أهل الطائف ولم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه من تصديقه ونصرته صار إلى حراء ثم بعث إلى الأخنس بن شريق ليجيره فقال أنا حليف والحليف لا يجير فبعث إلى سهيل بن عمرو فقال له إن بني عامر لا تجير على بني كعب فبعث إلى المطعم بن عدي - سيد قبيلة بني نوفل بن عبد مناف - بعث إليه رجلاً من خزاعة أدخل في جوارك؟ فقال نعم ودعا بنيه وقومه

(١) انظر عالم الجن للفقير إلى الله تعالى.

فقال البسوا السلاح وكونوا عند أركان البيت فإني قد أجرت محمداً فدخل رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة حتىٰ انتهىٰ إلىٰ المسجد الحرام فقام المطعم بن عدىٰ علىٰ راحلته فنادىٰ يا معشر قريش إني قد أجرت محمداً فلا يهجه أحد منكم فانتهىٰ رسول الله ﷺ إلىٰ الركن فاستلمه وصلىٰ ركعتين وانصرف إلىٰ بيته والمطعم بن عدي وولده محدقون به بالسلاح حتىٰ دخل بيته وحفظ النبي ﷺ للمطعم بن عدي هذه اليد وأراد أن يكافئه عليها ولكنه مات كافراً روىٰ البخاري عن جبير بن مطعم أن النبي ﷺ قال في أسارىٰ بدر لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النَّتنَىٰ[1] لتركتهم له قال سفيان وكانت له عند النبي ﷺ يد وكان أجزىٰ الناس باليد.

(١) جمع نتن وهو بالنون و المثناة أسارىٰ بدر من المشركين.

الباب الثالث
الهجرة إلى المدينة المنورة

في هذا الباب مباحث أذكرها على النحو الآتي:

١ - المبحث الأول عرض النبي ﷺ نفسه الشريفة على القبائل:

بعد رجوعه ﷺ من الطائف بدأ يعرض نفسه على القبائل في المواسم يشرح لهم الإسلام ويطلب منهم الإيواء والنصرة حتى يبلغ كلام الله عز وجل يقول العلامة المقريزي في الإمتاع (ثم عرض ﷺ نفسه على القبائل أيام الموسم ودعاهم إلى الإسلام وهم بنو عامر وغسان وبنو فزارة وبنو مرة وبنو حنيفة وبنو سليم وبنو عبس وبنو نصر وثعلبة بن عكابة و كندة وكلب وبنو الحارث بن كعب وبنو عذرة وقيس بن الخطيم وأبو اليسر أنس بن أبي رافع)[1]

وجاء في حديث سيدنا جابر رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يعرض نفسه على الناس في المواقف فقال (ألا رجل يحملني إلى قومه فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي) رواه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه والترمذي في جامعه والدارمي وابن ماجه.

وقد لقي النبي ﷺ في هذه المرحلة أذية عظيمة روى البخاري في التاريخ والطبراني في الكبير عن مدرك بن منيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية وهو يقول يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا فمنهم من تفل في وجهه ومنهم من حثا عليه التراب ومنهم من سبه حتى انتصف النهار فأقبلت جارية بعس من ماء

---

(١) استقصى الواقدي في سيرته أخبار هذه القبائل قبيلة قبيلة فليراجعه من رام التوسع والزيادة.

فغسل وجهه ويديه وقال يا بنية لا تخشي على أبيك غلبة ولا ذلة فقلت من هذه قالوا زينب بنت رسول الله وهي جارية وضيئة، وقد كان أبو جهل وأبو لهب يتناوبان على أذية رسول الله ﷺ عندما يدعو في الأسواق والمواسم وكان يجد منهما عنتاً كبيراً مما اضطر النبي ﷺ إلى مقابلة القبائل ليلاً وذهابه ﷺ إلى القبائل في منازلهم واصطحاب الأعوان والتأكد من حماية القبيلة فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير ما جزى نبياً عن أمته، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يتلقى كل ذلك بالصبر لما أعلمه الله تعالى من أنه سيظهر هذا الدين وينشر الإسلام على العموم بقوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ (الفتح: ٢٨) ولِمَا أوحى الله تعالى إليه صلى الله عليه وسلم بالوحي النبوي من أن دعوته صلى الله عليه وسلم ستعم جميع المناطق المعمورة كما في الحديث عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى زوى لِيَّ الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإنَّ أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي.

ولما اشتد الأمر عليه صلى الله عليه وآله وسلم أوحى الله عز وجل إليه أنه قد اقترب أوان الفرج وأنَّ الله سينشر دعوته صلى الله عليه وآله وسلم بأن يهيئ له أقواماً صادقين في القول والعمل يعاهدونه على الموت فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ألا إنَّ الإيمان يمان والحكمة يمانية وأجد نَفَس ربكم من قبل اليمن) رواه أحمد والطبراني في الأوسط يعني أنَّ تنفيسه جل وعلا لهذا الضيق وتفريجه لهذه الكربات والشدائد أجده وأشعر به أنه سيأتي من ناحية اليمن، قال في لسان العرب يقال إنه عنى بذلك الأنصار لأن الله تعالى نفَّس الكرب عن المؤمنين بهم وهم يمانيون لأنهم من الأزد.

٢- المبحث الثاني ابتداء أمر الأنصار ومبايعتهم:

الكامل في قوله سويد ابن الصامت الأوسي النجاري الأنصاري:

أمه ليلىٰ بنت عمرو النجارية أخت سلمىٰ بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم جد الرسول صلىٰ الله عليه وسلم فسويد بن الصامت ابن خالة عبد المطلب سُميَّ بالكامل في قومه لقوة جَلَدِهِ وبراعة شعره وقوة حكمته ورجحان عقله وعلو شرفه في قومه وبلده وأصالة حسبه ونسبه ورجحان تفكيره هذا الرجل الذي عرف في قومه بإشراق العقل والتجمل ببعض الفضائل كان هو أول من لقيه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من اليثربيين في وفادتهم إلىٰ مكة وكان لقاء رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سويد بن الصامت أول لقاء وجد فيه النبي صلىٰ الله عليه وسلم شيئاً من التعقل ولين الجانب مما أدخل علىٰ قلب الحبيب صلىٰ الله عليه وسلم شيئاً من الراحة بعد طول ما لقي من الجفاء وسفاهة أرباب الجهالة وقسوة الغرور وسوء الرد وشناعة المواجهة وصنوف الإيذاء وفادح البلاء وعظيم السخرية والاستهزاء من أهل مكة والطائف كان سويد بن الصامت ممن قدم الموسم بعد رجوع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من الطائف إلىٰ مكة وهو صلىٰ الله عليه وسلم مثقل بالآلام يحمل من الهم والحزن ما يحمل لما صنعه معه أهل الطائف من سوء اللقاء وقبح الرد عليه وفادح البلاء علىٰ النحو الذي تقدم شرحه خرج سول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ الناس في الموسم يدعوهم إلىٰ الحق والهدىٰ والنور الذي أنزل عليه ويقول كما جاء في حديث جابر عند البيهقي في الدلائل هل من رجل يحملني إلىٰ قومه فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي فكان ذلك مما أذخر الله للأنصار وأكرمهم به، وتصدىٰ رسول الله لسويد بن الصامت إذ علم بمقدمه ومكانه من قومه فدعاه إلىٰ الله عز وجل وإلىٰ الإسلام فقال

سويد لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لعل الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول الله وما الذي معك؟ فقال سويد مجلة لقمان يعني حكمة لقمان فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم اعرضها عليَّ فعرضها سويد علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بعد ما سمع من سويد ما عرضه عليه من حكمة لقمان إنَّ هذا الكلام حسن والذي معي أفضل منه قرآن أنزله الله عز وجل عليَّ هو هدىً ونور وتلا عليه القرآن ودعاه إلىٰ الإسلام فأحسن سويد الرد ولم يبعد من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وقال إن هذا القول حسن ثم انصرف سويد عائد إلىٰ بلده يثرب فقدمها علىٰ قومه وفي نفسه ما فيها من تأثر بما سمع من القرآن الكريم ومن تأثير بما رأىٰ من سمت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وسمو أدبه ومكارم أخلاقه ومحاسن دعوته وجلال رسالته وقد رأىٰ قوم سويد منه ما رأوا من تأثره بما رأىٰ من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وما سمع منه مرتسمة علىٰ وجهه وفي نظراته وسبحات فكره وتسامعوا بلقاء رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم له واجتماعه به وتأثير رسول الله فيه توحي بعمق تفكير سويد فيما رأىٰ من محمد صلىٰ الله عليه وسلم وما سمع منه فما شعروا إلا وهم يذكرون في خلواتهم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب سيد قريش وابن أختهم وأنه مبعوث من الله تعالىٰ برسالة تهدي إلىٰ الحق وإلىٰ طريق مستقيم بيد أن أهل يثرب من عرب الأوس والخزرج كانوا يعيشون في شحناء مبيدة ويحيون في بغضاء مدمرة أدت إلىٰ اقتتالهم حتىٰ كادوا يتفانون وقد أدركت هذه الحروب سويداً فقُتل فيها علىٰ يد الخزرجيين وكان رجال من قومه ممن يعرف ما كان عليه سويد من التعقل والحكمة وممن عرف ما عاد به من مكة بعد لقاء رسول الله صلىٰ اله عليه وسلم وممن تسّمع إلىٰ همساته وهمهماته ونجواه إلىٰ نفسه يقولون بعد أن أسلموا وأصبحوا أنصار الله إنا لنرىٰ سويداً قتل وهو مسلم

ومهما يكن من أمر هذا الرجل الحكيم فقد كان لقاؤه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم باكورة نصر الله تعالىٰ لدعوة الإسلام.

ب- برقة غيث في لقاء النبي صلى اله عليه وسلم إياس بن معاذ: واشتدت الشحناء بين القبيلتين الأوس والخزرج وتعاظمت العداوة بين الفريقين وتنادىٰ كل قبيل منهم مستصرخاً يا لثارات الملأ وسروات الرجال واشتعلت نيران الحرب ضروساً تأكل منم الأخضر واليابس فلما طحنتهم الحرب وصاروا بين يتم مذل وترمل مُقِل ملأ عرصات ديارهم الأحزان وفكر كل فريق منهم في الاستنصار علىٰ الآخر بالبحث عن الأحلاف العسكرية فبعث الأوس وفداً من رجالهم إلىٰ مكة برئاسة أبي الحَيسر أنس بن رافع التماساً للحلف من قريش لما بينهم وبين قريش من صِلات نسبية وكان مع أبي الحيسر فتية من قومه بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ وكان أحدث فتيان الوفد سناً ولكنه كان أصفاهم فطِرة وأطهرهم نفساً وأزكاهم عقلا فسمع بهم النبي صلىٰ الله عليه وسلم وكانت عنده صورة من تعقل الكامل في قومه سويد بن الصامت ولين جانبه وهو أوسي مثلهم فأتاهم وجلس إليهم وقد علم الذي جاؤوا له من التماس الحلف علىٰ إخوانهم الخزرجيين من قريش فقال الحبيب صلىٰ الله عليه وآله وسلم لهم هل لكم في خير مما جئتم له؟ قالوا وما ذاك؟ قال صلىٰ الله عليه وسلم أنا رسول الله بعثني إلىٰ العباد أدعوهم إلىٰ أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً وأنزل عليَّ الكتاب ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن فابتدر حصيفهم إياس بن معاذ في حماسة الفتوة وفتوة الشباب قائلا يا قوم هذا والله خير مما جئتم له فأخذ أبو الحيسر حفنة من تراب البطحاء وضرب بها وجه إياس بن معاذ وقال دعنا منك فلعمري لقد

جئنا لغير هذا فصمت إياس وقام رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عنهم ثم انصرفوا إلىٰ المدينة ولم يتم لهم الحلف.

ج- وقعة بُعَاثْ:

وكانت بعد ذلك وقعة بعاث بين الأوس والخزرج وهي أشهر وقائعهم وأضرىٰ حروبهم وأعظم أيامهم أثراً عليهم قتل فيها أشرافهم وكبراؤهم وسرواتهم وذوو الكبرياء والأنفة منهم ولم يبق من شيوخهم إلا القليل، وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت (كان يوم بعاث يوماً قدمه الله لرسوله صلىٰ الله عليه وسلم قدم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ المدينة وقد افترق ملؤهم وقُتل سَرَاتهم) وقد مات إياس بن معاذ قبل هجرة النبي صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ لمدينة وظهور الإسلام بها ولم يلقه بعد مجلسه في مكة حين لقي وفدهم برئاسة أبي الحَيْسَر لالتماس الحلف من قريش وقد دعاهم فيه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ الإسلام وتلا عليهم القرآن وأظهر إياس بن معاذ يومئذ ما وقر في صدره من ميل إلىٰ دعوة النبي صلىٰ الله عليه وسلم وقال كلمته المعبرة عن ميله إلىٰ نصيحة رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مخاطباً الوافدين من قومه يا قوم هذا -أي ما عرضه النبي صلىٰ الله عليه وسلم- والله خير مما جئتم له -أي من التماس الحلف من قريش- وقد ذكر السهيلي في روضه والبيهقي في الدلائل وابن كثير في البداية عن محمود ابن لبيد قال وهو يؤكد ما في قلب إياس من قبول الإسلام واستقراره عليه فأخبرني من حضره من قومه عند موته أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلّل الله تعالىٰ ويكبرّه ويحمده ويسبحه حتىٰ مات فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلماً لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله ما سمع ومن ثم كان لقاء لنبي صلىٰ الله عليه وسلم إياس

بن معاذ وموقف إياس من دعوته صلى الله عليه وسلم له وللوافدين معه إلى الإسلام أشبه ببرقة الغيث التي تلمع في الأفق لتؤذن العطاشى المقفرين بما يكون بعدها من الغيث المغيث ينهمر فجاجاً فيفعم الشعاب والوديان ويسقي الوهاد والكثبان فتحيا به الأرض ويرتوي به الظمآن.

د- بدايات المنح نهايات المحن

ولما أراد الله تعالى كرامة الأنصار وإعزاز دينه بهم لقي النبي ﷺ في ذلك الموسم - أعني السنة الحادي عشرة - من البعثة ستة نفر منهم أبو أمامة أسعد بن زرارة النّجاري ورافع بن مالك ابن العجلان العجلاني وقطبة بن عامر بن حديدة وجابر بن عبدالله ابن رئاب وعقبة بن عامر - وهؤلاء الثلاثة من بني سلمة - وعوف بن الحارث بن رفاعة من بني مالك بن النجار لقيهم النبي ﷺ عند عقبة منى قال لهم رسول الله ﷺ من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال أمن موالي يهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن[1] فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله عز وجل قال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه قال الحافظ السيوطي رحمه الله في الدر المنثور أخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل من طريق عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري حدثنا أشياخ منا قالوا لم يكن أحد من العرب أعلم بشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم منا كان اليهود معنا وكانوا أهل كتاب وكنا أصحاب أوثان وكنا إذا بلغنا منهم ما يكرهون قالوا

(١) انظر سيرة ابن هشام.

إن نبياً يبعث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم فلما بعث الله تعالىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم اتبعناه وكفروا به ففينا وفيهم أنزل الله ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (البقرة) ثم قال الحافظ السيوطي وأخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون علىٰ الأوس والخزرج برسول الله قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فأجاب النفر من الخزرج رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام فقال لهم النبي صلىٰ الله عليه وسلم تمنعون ظهري حتىٰ أبلغ رسالة ربي فقالوا يا رسول الله إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فإن تقدم ونحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتىٰ نرجع إلىٰ عشائرنا لعل الله أن يصلح ذات بيننا وندعوهم إلىٰ ما دعوتنا ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك وموعدك الموسم المقبل فرضي رسول الله بذلك منهم ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلىٰ بلادهم وقد آمنوا وصدقوا[1] ولم تكن بيعة في هذا اللقاء فهذا أول موكب من مواكب الخير وطليعة من طلائع النور وقد وفىٰ كل منهم لدينه ورسوله فإنهم لما وصلوا إلىٰ المدينة نشطوا في الدعوة إلىٰ الله وعرضوا كلمة الهدىٰ علىٰ أهلهم وذويهم وقرأوا عليهم ما حفظوه

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ودلائل النبوة للبيهقي وشرح المواهب للزرقاني.

من القرآن ووصفوا لهم ما رأوه من الأنوار المحمدية والأخلاق النبوية فلم تبق دار من دور المدينة إلا وفيها ذكر لسيدنا محمد ﷺ.

فائدة:

كان أول من أعلن إسلامه من هؤلاء النفر الخزرجين هو رافع بن مالك بن العجلان الزرقي، قال ابن إسحاق هو أول من قدم المدينة بسورة يوسف ومسجدهم مسجد بني زريق أول مسجد قرئ فيه القرآن وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه اعتدال قبلته وكان رافع بن مالك حريصاً على أخذ القرآن من النبي وتلقيه عنه منذ لقيه بالعقبة فقد أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حكاه الزرقاني في شرح المواهب ما أنزل عليه في العشر سنين التي خلت فقدم به رافع المدينة وجمع قومه فقرأ عليهم في موضع مسجدهم قبل أن يقام المسجد.

بيعة العقبة الأولى:

وبعد عام من المقابلة الأولى التي تمت بين الرسول ﷺ والنفر من الخزرج عند العقبة وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا عشرة من الخزرج واثنان من الأوس فلقوه ﷺ وبايعوه بيعة العقبة الأولى وقد تحدث عبادة بن الصامت الخزرجي رضي الله عنه عن البيعة في العقبة الأولى فقال كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثني عشر رجلاً فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء[1] وذلك قبل أن تفترض علينا الحرب على أن لا نشرك بالله ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا و لا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف فإن وفيتم فلكم الجنة وإن غشّيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء عذبكم وإن شاء غفر لكم أخرجه الإمام أحمد وهو حديث صحيح.

---

(١) سميت بذلك لأن بنودها هي التي بايع الرسول ﷺ عليها النساء التي أنزلت عند فتح مكة.

روىٰ الإمام البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه وكان شهد بدراً وهو أحد النقباء ليلة العقبة أن رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه –والعصابة الجماعة من الناس– بايعوني علىٰ أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفىٰ منكم فأجره علىٰ الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلىٰ الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه فبايعناه علىٰ ذلك.

وتتمة البيعة في الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن عبادة بن الوليد بن عبادة عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال بايعنا رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم علىٰ السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلىٰ أثرة علينا –أي علىٰ أن يلتزموا أمر النبي صلىٰ الله عليه وسلم سواء كان الأمر لهم أو عليهم– وعلىٰ أن لا ننازع الأمر أهله وعلىٰ أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم.

انتداب مصعب بن عمير رضي الله عنه للمدينة:

لما تمت المبايعة الأولىٰ لأهل المدينة بعث النبي ﷺ معهم مصعب بن عمير رضي الله عنه يعلمهم الدين ويقرئهم القرآن فكان يسمىٰ بالمدينة المقرئ وكان يؤمهم في الصلاة وقد اختاره رسول الله ﷺ عن علم بشخصيته من جهة وعلم بالوضع القائم بالمدينة من جهة أخرىٰ حيث كان مصعب رضي الله عنه بجانب حفظه لما نزل من القرآن يملك من اللباقة والهدوء وحسن الخلق والحكمة قدراً كبيراً فضلاً عن قوة إيمانه وشدة حماسه للدين وكان نزوله في المدينة علىٰ أسعد بن زرارة رضي الله عنه وقد لازم مصعب أسعد بن زرارة يقيم معه في منزله ويتساند معه في الدعوة

إلى الله يدخل به أسعد بن زرارة دور الأنصار الذين آمنوا بالله ورسوله ويذهب بهم إلى مجتمعاتهم ويصلي بهم إماماً ويعلمهم شرائع الإسلام ويتلو عليهم القرآن ويدعوا من لم يكن قد أسلم إلى الإسلام ولقد نجحت سفارة مصعب ﷺ فتمكن خلال أشهر أن ينشر الإسلام في سائر بيوتات المدينة وأن يكسب للإسلام أنصاراً من كبار زعمائها كأسيد بن حضير وسعد بن معاذ وقد أسلم بإسلامهما جميع بني عبد الأشهل في يوم واحد الرجال والنساء ولم يبق منهم أحد إلاّ أسلم وذلك ما حَدَّث به الثقات من رواة السيرة النبوية والمتتبعون لسير الرسالة في مراحلها قالوا خرج أسعد بن زرارة رضي الله عنه بمصعب بن عمير رضي الله عنه يوماً إلى دار بني عبد الأشهل فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر فجلسا فيه واجتمع إليهما رجال ممن أسلم قال صاحب عيون الأثر وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما وكلاهما مشرك على دين قومه فلما سمعا بهما قال سعد بن معاذ لأسيد ابن حضير لا أبا لك انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا ديارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما أن يأتيا ديارنا فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك هو ابن خالتي ولا أجد عليه مَقْدَمَاً فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما فلما رأى أسعد بن زرارة أسيد بن حضير مقبلاً إليهما قال لصاحبه مصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب في هدوء رسوخ اليقين وثقة الإخلاص إن يجلس هذا أكلمه فوقف عليهما أسيد بن حضير متشتماً فقال ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة فقال له مصعب في ثقة الإلهام أو تجلس فتسمع إن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كُف عنك ما تكره قال أسيد متعقلاً أنصفت ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن فقالا -أي مصعب وأسعد بن زرارة- والله لقد

عرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ثم تكلم أسيد فقال ما أحسن هذا وأجمله كيف يصنع من أراد الدخول في هذا الدين؟ قالا له تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي فقام أسيد ابن حضير فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ثم قال لهما إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن وهو سعد بن معاذ ثم أخذ أسيد حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً قال أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بوجهٍ غير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف على النادي قال له سعد ما فعلت؟ قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت وقد حُدِّثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد بن معاذ مغضباً مبادراً تخوفاً للذي ذكره له من أمر بني حارثه فأخذ الحربة من يده وقال والله ما أراك أغنيت عنا شيئاً ثم خرج إليهما فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتماً ثم قال لأسعد بن زرارة يا أبا أمامة أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت مني هذا أتغشانا في دارنا بما نكره وكان أسعد بن زرارة قد قال لمصعب بن عمير أي مصعب جاءك والله سيد مَن وراءهُ من قومه إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان فقال مصعب لسعد بن معاذ أو تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته عزل عنك ما تكره قال سعد بن معاذ انصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه مصعب بن عمير الإسلام وقرأ عليه القرآن قالا فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ثم قال لهما كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم أخذ

حربته فأقبل عامداً إلى نادي قومه ومعهم أسيد بن حضير فقال يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبة[1] قال فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله حاشى الأصيرم وهو عمرو بن ثابت بن وقش فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد فأسلم واستشهد ولم يسجد لله سجدة وأخبر رسول الله أنه من أهل الجنة، ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة بل كانوا كلهم حنفاء مخلصين رضى الله عنهم وهذه منقبة عظيمة لهم ثم إن بني النجار أخرجوا مصعب بن عمير واشتدوا على أسعد بن زرارة فانتقل مصعب بن عمير إلى سعد بن معاذ فلم يزل عنده يدعو آمناً ويهدي الله على يديه حتى قلّ دار من دور الأنصار إلا قد أسلم أشرافها وأسلم عمرو بن الجموح وكسرت أصنامهم وكان المسلمون أعز أهل المدينة.

واستطاع مصعب ﷺ تقوية الروابط الأخوية بين أفراد القبائل المؤمنة من ناحية وبين النبي ﷺ وصحبه بمكة المكرمة لإيجاد القاعدة الأمنية لانطلاق الدعوة.

كتاب النبي إلى مصعب يأذن له بإقامة الجمعة

قال الزرقاني في المواهب روى الإمام الدار قطني عن ابن عباس أذن النبي صلى الله عليه وسلم بإقامة الجمعة لأهل المدينة قبل هجرته صلى الله عليه وسلم إليها ولفظ الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أذن رسول الله بالجمعة قبل أن يهاجر ولم يستطع يُجَمِّعُ بمكة ولا يبدي

---

(١) قال في لسان العرب النقيبة يُمنُ الفعل ورجل ميمون النقيبة أي مبارك النفس مظَفَّرٌ بما يحاول.

ذلك فكتب إلى مصعب بن عمير أما بعد فانظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم فاجمعوا نسائكم وأبنائكم فإذا زال النهار عن شطره فتقربوا إلى الله بركعتين، قال الحافظ ابن كثير هذا حديث في إسناده غرابة وروى البيهقي بسنده عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قائد أبي حين كُفَّ بصره فإذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذان بها استغفر لأبي أمامة أسعد بن زرارة فمكثت حيناً أسمع ذلك منه فقلت في نفسي والله إن هذا بي لعجزٌ ألا أسأله؟ فقلت يا أبت مالك إذا سمعت الأذان للجمعة صليت على أبي أمامة؟ فقال أي بني كان أسعد أول من جمّع بنا بالمدينة في هزم النبيت عند حرّة بني بياضة في بقيع يقال له بقيع الخضمات قلت وكم أنتم يومئذ؟ قال أربعون رجلاً قال ابن كثير وقد روى هذا الحديث أبو داود وابن ماجه وقد وفق البيهقي رحمه الله في نسبة التجميع بأهل المدينة إلى أسعد بن زرارة وبين نسبة ذلك إلى مصعب كما في حديث ابن عباس من طريق الزهري بقوله وكأنَّ مصعباً رضي الله عنه جمَّع بهم بمعونة أسعد بن زرارة فأضافه كعب إليه والله أعلم.

بيعة العقبة الثانية:

في الموسم من السنة الثالثة عشرة خرج حجاج الأنصار من المسلمين مع حجاج قومهم من المشركين فلما قدموا مكة واعدوا رسول الله ﷺ في العقبة من أوسط ليالي التشريق فلما كان ليلة الميعاد باتوا مع قومهم فلما مضى ثلث الليل خرجوا مستخفين فلما اجتمعوا بالشعب عند العقبة جاءهم رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس وهو يومئذ باق على دينه لكن أراد أن يتوثق لابن أخيه فتكلم رسول الله ﷺ وقال أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم ونساءكم وأبناءكم؟ قالوا نعم فقال لهم أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً كفلاء

على قومهم فأخرجوهم وهم تسعة من الخزرج أسعد بن زرارة بضم الزاي والبراء بن معرور بمهملات ورافع بن مالك بن عجلان وسعد بن الربيع وسعد بن عبادة وعبادة بن الصامت وعبدالله بن رواحة وعبدالله بن عمرو بن حرام والد جابر والمنذر بن عمرو وثلاثة من الأوس وهم أسيد بن حضير - مصغرين وبحاء مهملة وضاد معجمة - ورفاعة بن المنذر وسعد بن خيثمة بمعجمة مفتوحة وتحتية ثم مثلثة ﷺ أجمعين فقال لهم رسول الله ﷺ أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا الكفيل على قومي قالوا نعم فبايعوه ووعدهم على الوفاء الجنة وجملتهم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان وروي أن جبريل عليه السلام كان إلى جنب النبي ﷺ عند مبايعتهم وهو يشير إليهم واحداً بعد واحد ولما تمت المبايعة صاح إبليس لعنه الله صيحة منكرة مشبهاً صوته بصوت منبه بن الحجاج السهمي يا أهل منى هذا محمد وأهل يثرب قد اجتمعوا لحربكم فقال له رسول الله ﷺ أي عدو الله أما والله لأفرغن لك ثم تفرقوا فلما أصبحوا غدت عليهم رؤساء قريش وقالوا يا معشر الخزرج بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا وإنه والله ما حيّ من العرب أبغض علينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم فحلف مشركو الأنصار ما كان من هذا شيء ولا علمناه وصدقوا فإنهم لم يعلموا فلما تفرق الناس من منى فتشت قريش عن الخبر فوجدوه قد كان فخرجوا في طلب القوم ففاتوهم إلا أنهم أدركوا سعد بن عبادة رضي الله عنه فرجعوا به أسيراً يضربونه فاستنقذه منهم مطعم بن عدي والحارث بن حرب بن أمية لصنائع كانت لسعد في رقابهما وخوفوا قريشاً من تعرض الأنصار لهم على طريق الشام.

ومن الروايات الواردة في بيعة العقبة الثانية ما رواه الإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والطبراني في المعجم الكبير عن كعب بن مالك الأنصاري قال خرجنا إلى الحج فواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي وعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبدالله بن عمر بن حرام أبو جابر سيد من ساداتنا وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا فكلمناه وقلنا له يا أبا جابر إنك سيد من سادتنا وشريف من أشرافنا وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً ثم دعوته إلى الإسلام وأخبرته بميعاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيباً قال فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نتسلل مستخفين تسلل القَطا[1] حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نسائهم نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بني النجار وأسماء بنت عمرو بن عدي بن ثابت إحدى نساء بني سلمة وهي أم منيع قال فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلاّ أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له فلما جلسنا كان العباس بن عبد المطلب أول متكلم فقال يا معشر الخزرج وكان العرب يسمون هذا الحي من الأمصار الخزرج أوسها وخزرجها إن محمداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه وهو في عزٍّ من قومه ومنعة في بلده قال فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله

---

(١) في لسان العرب القطا طائر معروف نوع من الحمام سمي بذلك لثقل مشيه، واحدته قطاة.

فخذ لنفسك ولربك ما أحببت -أي اطلب منا الحقوق التي لله تعالىٰ والحقوق التي لك- ونحن علىٰ استعداد لتنفيذ ما أمرت قال فتكلم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ودعا الله عز وجل ورغّب في الإسلام وقال (أبايعكم علىٰ أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وابنائكم) وفي رواية لأحمد في المسند وابن أبي شيبة في المصنف وقال الهيتمي في مجمع الزوائد رجاله رجال الصحيح قالوا له صلىٰ الله عليه وسلم سل يا محمد لربك ما شئت ثم سل لنفسك ولأصحابك ما شئت ثم أخبرنا ما لنا من الثواب علىٰ الله عز وجل وعليكم إذا فعلنا فقال صلىٰ الله عليه وآله وسلم أسألكم لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأسألكم لنفسي ولأصحابي أن تؤونا وتنصرونا وتمنعونا مما منعتم منه أنفسكم قالوا فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال لكم الجنة قالوا فلك ذلك قال فأخذ البراء بن معرور بيده صلىٰ الله عليه وآله وسلم ثم قال نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزُرنا[1] فبايعنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فنحن أهل حروب وأهل الحلقة[2] ورثناها كابراً عن كابر قال فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله أبو الهيتم ابن التيهان حليف بني عبد الأشهل فقال يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالاً وإنا قاطعوها يعني اليهود وكان بينهم وبين العرب توافق وأحياناً تقاتل -ويريد الصحابي أنَّا سنقاطعهم ونهجرهم- فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله تعالىٰ أن ترجع إلىٰ قومك وتدعنا؟ قال فتبسم رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم (انظر

---

(١) أزرنا أي نساءنا وأهلنا.

(٢) السلاح قال أبو عبيد الحلقة اسم لجمع السلاح والدروع وما شابهها.

سيرة ابن هشام وحدائق الأنوار لبحرق ومسند أحمد ومجمع الزوائد وقد بسط الروايات في بيعة العقبة الثانية العلامة عبدالحميد طهماز في السيرة النبوية).

٣- المبحث الثالث ابتداء أمر الهجرة إلى المدينة:

لما بايعت طلائع الخير ومواكب النور من أهل المدينة المنورة النبي ﷺ على الإسلام والدفاع عنه ثارت ثائرة المشركين فازدادوا إيذاء للمسلمين فأذن النبي ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى المدينة المنورة وقال ﷺ لأصحابه إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها[1] فجعل أصحاب النبي ﷺ يتجهزون ويتوافقون ويتواسون ويخرجون ويخفون ذلك فكان أول المهاجرين مصعب بن عمير وكان أول من قدم المدينة بعد بيعة العقبة الثانية من أصحاب رسول الله أبو سلمة بن عبد الأسد ثم قدم بعده عامر بن ربيعة معه امرأته ليلى بنت أبي حتمة فهي أول ظعينة قدمت المدينة ثم قدم أصحاب رسول الله ﷺ أرسالاً فرادى وجماعات لا يخرجهم إلا الفرار بدينهم والصيانة لإيمانهم والبعد عن فتنة أهل الضلال وعباد الأهواء لا يثنيهم عن عزمهم أهل ولا مال ولا يشغلهم متاع الدنيا عن ثواب الآخرة فنزلوا على الأنصار في دورهم فأووهم ونصروهم وواسوهم وآثروهم على أنفسهم وقاسموهم في أموالهم وبذلك أثنى الله عز وجل عليهم في محكم كتابه العزيز ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الحشر:٩).

وكان من عظيم صنيع الأنصار فتح بيوتهم للوفود من المهاجرين ليظهر عظيم التكافل بين المسلمين وكان من أبرز هذه البيوتات الحاضنة:

---

(١) انظر سيرة ابن هشام .

١- دار مبشر بن عبد المنذر بن زنير بقباء ونزل بها مجموعة من المهاجرين نساء ورجالاً وقد ضمت هذه الدار عمر بن الخطاب ومن لحق به من أهله وقومه وابنته حفصة وزوجها وعياش بن أبي ربيعة.
٢- دار خبيب بن اساف أخي بني الحارث بن الخزرج بالسنح نزل بها طلحة بن عبيد الله بن عثمان وأمه وصهيب بن سنان.
٣- دار أسعد بن زرارة من بني النجار نزل بها حمزة بن عبدالمطلب.
٤- دار سعد بن خيثمة أخي بني النجار وكان يسمى بيت العزاب ونزل بها الأعزاب من المهاجرين.
٥- دار عبدالله بن سلمة أخي بني عجلان بقباء نزل بها عبيدة ابن الحارث وأمه سخيلة ومسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب والطفيل بن الحارث وطليب بن عمير والحصين بن الحارث إلى غير ذلك من البيوت[١].

٤- المبحث الرابع في ذكر المهاجرين من الأنصار:

كان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين بقباء قبل أن يقدم النبي ﷺ فلما خرج المسلمون في هجرتهم إلى المدينة كلبت قريش عليهم وحربوا واغتاظوا على من خرج من فتيانهم وكان نفر من الأنصار بايعوا رسول الله ﷺ في البيعة الآخرة ثم رجعوا إلى المدينة فلما قدم أول من هاجر إلى قباء خرجوا إلى رسول الله ﷺ بمكة حتى قدموا مع أصحابه في الهجرة فهم مهاجرون أنصاريون وهم ذكوان بن عبد قيس وعقبة بن وهب بن كلدة والعباس بن عبادة بن نضلة وزياد بن لبيد وخرج المسلمون جميعاً إلى المدينة فلم يبق بمكة فيهم إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعلي أو مفتون أو مريض أو ضعيف عن الخروج[٢].

---

(١) انظر السيرة النبوية للصلابي.
(٢) انظر طبقات ابن سعد.

٥- المبحث الخامس في ذكر بعض صور الهجرة:

هجرة أبي سلمة

قالت أم سلمة رضي الله عنها لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره ثم حملني عليه وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري ثم خرج بي يقود بي بعيره فلما رأته رجال بني المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها إلى البلاد قالت فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه[1] قالت وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة فقالوا لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا قالت فتجاذبوا بُنَيَّ بينهم حتى خلعوا يده وانطلق به بنو عبد الأسد وحبسني بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة قالت ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني قالت فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريباً منها حتى مر بي رجل من بني عمي أحد بن المغيرة فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة ألا تخرجون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها قالت فقالوا لي الحقي بزوجك إن شئت قالت ورد بنو عبد الأسد إليّ عند ذلك ابني قالت فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعته في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة وما معي أحد من خلق الله قالت فقلت أتبلّغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار فقال لي إلى أين يا بنت أبي أمية؟ قالت فقلت أريد زوجي بالمدينة قال أو ما معك أحد قالت فقلت لا والله إلا الله وبُنيَّ هذا قال والله مالك من

---

(١) ومضى أبو سلمة للمدينة و لم يثنه هذا عن الهجرة ﷺ وقد توفى سنة٣هـ وهو أول من يعطى كتابه بيمينه ﷺ.

مترك فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرىٰ أنه كان أكرم منه كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني حتىٰ إذا نزلت استأخر بعيري فحط عنه ثم قيده في الشجرة ثم تنحىٰ عني إلىٰ الشجرة فاضطجع تحتها فإذا دنا الرواح قام إلىٰ بعيري فقدمه فرحّله ثم استأخر عني فقال اركبي فإذا ركبت واستويت علىٰ بعيري أتىٰ فأخذ بخطامه فقاده حتىٰ ينزل بي فلم يزل يصنع ذلك بي حتىٰ أقدمني المدينة فلما نظر إلىٰ قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال زوجك في هذه القرية وكان أبو سلمة بها نازلاً فادخليها علىٰ بركة الله ثم انصرف راجعاً إلىٰ مكة[1] قال فكانت تقول والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة وما رأيت صاحباً قط أكرم من عثمان بن طلحة.

هجرة صهيب ﷺ

عن أبي عثمان النهدي رحمه الله قال بلغني أن صهيباً حين أراد الهجرة إلىٰ المدينة قال له أهل مكة أتيتنا هاهنا صعلوكاً[2] حقيراً فكثر مالك عندنا وبلغت ما بلغت ثم تنطلق بنفسك ومالك والله لا يكون ذلك فقال أرأيتم إن تركت مالي تخلون سبيلي؟ قالوا نعم فجعل لهم ماله أجمع فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال ربح صهيب ربح صهيب[3] وعن عكرمة رحمه الله قال لما خرج صهيب مهاجراً تبعه أهل مكة فنثل كنانته فأخرج منها أربعين سهماً فقال لا تصلون إليَّ حتىٰ أضع في كل رجل منكم سهماً ثم أصير بعد إلىٰ السيف فتعلمون أني رجل وقد خلّفت بمكة قينتين فهما لكم وقال عكرمة ونزلت علىٰ النبي ﷺ

---

(١) أسلم ﷺ قبل الفتح.
(٢) الصعلوك: الفقير.
(٣) انظر سيرة ابن هشام.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ (البقرة) فلما رآه النبي ﷺ قال أبا يحيىٰ ربح البيع قال وتلا عليه الآية (أخرجه الحاكم وصححه علىٰ شرط مسلم وأقره الذهبي).

هجرة عمر رضي الله عنه

لم يهاجر أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا متخفياً غير عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقد روىٰ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضىٰ في يده أسهماً واختصر عنزته – عصاه – ومضىٰ قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها فطاف في البيت سبعاً متمكناً مطمئناً ثم أتىٰ المقام فصلىٰ ثم وقف فقال شاهت الوجوه لا يُرغم الله إلا هذه المعطاس من أراد أن يثكل أمه أو يؤتم ولده أو ترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي قال علي فما اتبعه إلا قوم من المستضعفين علمهم ما أرشدهم ثم مضىٰ لوجهه[1] وهجرة سيدنا عمر رضي الله عنه هذه تعد تصرفاً شخصياً لا حجة تشريعية فيه أمّا رسول الله ﷺ فهو مشرع أي إن جميع تصرفاته المتعلقة بالدين تشريع لنا لأجل ذلك استعمل الرسول ﷺ كل الأساليب والوسائل المادية التي يهتدي إليها العقل البشري في مثل هذا العمل ليكون قدوة لمن بعده ﷺ فلا يخطر ببال مسلم بعد هذا أن يقارن بين هجرة عمر رضي الله عنه وهجرة النبي[2] ﷺ.

هجرة أم أيمن

وهاجرت السيدة أم أيمن الحبشية حاضنة رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم إلىٰ المدينة وهي صائمة ليس معها زاد ولا حمولة ولا

---

(١) أسد الغابة وفقه السيرة للبوطي.
(٢) انظر بسط هذا في فقه السيرة للبوطي.

سِقاء في شدة حر تهامة وقد كادت تموت من الجوع والعطش حتىٰ إذا كان الحين الذي فيه يفطر الصائم سمعت حفيفاً علىٰ رأسها فإذا دلو معلق برشاء -أي حبل- أبيض قالت فأخذته بيدي فشربت منه حتىٰ رويت فما عَطِشْتُ بَعْدُ، فكانت تصوم وتطوف لكي تعطش في صومها فما قدرت أن تعطش حتىٰ ماتت[1].

٦ـ المبحث السادس استعداد أبي بكر للهجرة:

كان أبوبكر رضي الله عنه يلح في استئذانه ﷺ في اللحاق بمن هاجر إلىٰ المدينة من إخوانه المؤمنين فيمنعه ويأمره بالانتظار روىٰ البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال له علىٰ رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي فقال أبوبكر وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي قال نعم فحبس أبوبكر نفسه علىٰ رسول الله ﷺ ليصحبه وعلف راحلتين ورق السمر أربعة أشهر حتىٰ تكونا علىٰ أتم استعداد عند الإذن بالسفر[2].

٧ـ المبحث السابع هجرة رسول الله ﷺ وهىٰ المقصود الأعظم من الكتاب وهاك الكلام عليها مرتباً علىٰ هذا النحو:

١ - مؤامرة المشركين لقتل النبي ﷺ

بعد أن منيت قريش بالفشل في منع الصحابة ﷺ من الهجرة إلىٰ المدينة علىٰ الرغم من أساليبهم الشنيعة والقبيحة فقد أدركت قريش خطورة الموقف وخافوا علىٰ مصالحهم الاقتصادية وكيانهم الاجتماعي القائم بين قبائل العرب لذلك اجتمعت قيادة قريش في دار الندوة للتشاور في أمر القضاء علىٰ قائد الدعوة وحضر هذا الاجتماع نحو مائة

---

(١) رواه الإمام عبد الرزاق في مصنفه.

(٢) تاريخ الهجرة للبيلاوي.

من كبار قريش وسمي هذا اليوم بيوم الزحمة[٣] وجزم ابن حزم بأن هذا الاجتماع كان يوم الخميس ٢٧صفر سنة١ هجريه أي سنة٦٢٠م وكانت دار الندوة يدخلها كل قرشي بلا شرط وأما غير قريش فلا يدخل منهم إلا من جاوز الأربعين فبينما هم جالسون للشورىٰ في ذلك النادي إذ استأذن عليهم رجل عجوز لا يعرفونه قالوا من أنت؟ قال رجل من نجد فدخل عليهم فإذا هو شيخ كبير عليه كساء غليظ وطيلسان من خز وقال لهم علمت باجتماعكم فجئتكم وعسىٰ أن لا أعدمكم رأياً ونصحاً وجلس معهم ذلك الشيطان الرجيم وطرحت في ذلك الاجتماع ثلاثة اقتراحات وجعل ذلك النجدي -إبليس عليه ما يستحق- نفسه مستشاراً يقبل ويرفض من ذلك ما يشاء وهم يوافقونه.

الاقتراح الأول:

قال أحدهم واسمه أبو البختري بن هشام احبسوا محمداً في الحديد وأغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء قبله فرفض النجدي هذا الاقتراح وقال ما هذا برأي والله لو حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلىٰ أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم تكاثروكم به حتىٰ يغلبوكم علىٰ أمركم ما هذا رأي فانظروا في غيره فوافقوه علىٰ رفضه.

الاقتراح الثاني:

قال ربيعة بن عمرو العامري نخرج محمداً من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فلا نبالي أين ذهب فرفض النجدي هذا الاقتراح أيضا وقال والله ما هذا برأي ألم تروا إلىٰ حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته علىٰ قلوب الرجال بما يأتي به والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن

(٣) انظر عيون الأثر لابن سيد الناس.

يحل علىٰ حيّ من العرب فيغلب بذلك عليهم حتىٰ يتابعوه عليكم ثم يسير بهم إليكم حتىٰ يطأكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد أديروا فيه رأياً آخر غير هذا واتفقوا علىٰ رفض الاقتراح.

الاقتراح الثالث:

قال أبو جهل والله إن لي فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه أرىٰ أن يعطىٰ رجال من قبائل سيفا فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه ونستريح منه ويتفرق دمه في القبائل وندفع لأهله ديته بلا قصاص فوافق إبليس علىٰ هذا الاقتراح وقال القول ما قال لا أرىٰ غيره ووافقه كل من في دار الندوة علىٰ ذلك وأجمعوا علىٰ تنفيذه في مساء ذلك اليوم[1] وفي هذه الحادثة نزل قوله تعالىٰ ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الأنفال)[2].

٢- اطلاع الله لنبيه ﷺ علىٰ المؤامرة وأعماله ﷺ في ذلك اليوم

في ذلك اليوم نزل جبريل علىٰ النبي ﷺ فأعلمه بما اتفق عليه كفار مكة وأخبره بأن الله قد أذن له بالهجرة من مكة إلىٰ المدينة وأمره أن لا يبيت الليلة علىٰ فراشه وأمره أن يصحب في هجرته أبا بكر الصديق[3] رضي الله عنه وفي هذا نزلت الآية الكريمة ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ (الإسراء) وهنا بدأ النبي ﷺ يجهز نفسه للهجرة فانطلق رسول الله ﷺ إلىٰ

---

(١) انظر مغازي ابن إسحاق وسيرة ابن هشام وعيون الأثر وتاريخ الهجرة وغيرها.

(٢) بسطت كتب التفسير هنا قصة المؤامرة فليطالعها من أراد البسط.

(٣) أخرجه الترمذي عن ابن عباس.

سيدنا علي بن أبي طالب وأخبره بعزمه على الهجرة في المساء وأمره أن يبيت في الفراش النبوي حتى يصبح بين الناس نائباً عنه في تسليم الودائع إلى أهلها لأن كفار مكة كانوا لا يأمنون على نفائسهم إلا عند النبي ﷺ الصادق الأمين.

فكان سيدنا علي رضي الله عنه أول من باع نفسه في الله عز وجل ووقى بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال ابن إسحاق رحمه الله ليس بمكة أحد عنده شئ يخاف عليه إلا وضعه عند محمد ﷺ لما يعلم من صدقه وأمانته وروى ابن إسحاق أيضا أن النبي ﷺ قال لعلي في هذا اللقاء تسج (أي تغط ببردي هذا الحضرمي الأخضر فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شئ تكرهه منهم وكان من عادته أن ينام في البرد المذكور[1].

ثم توجه النبي ﷺ إلى بيت أبي بكر ظهراً عن عائشة أم المؤمنين قالت كان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار إما بكرة وإما عشية حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة والخروج من مكة بين ظهري قومه أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة في ساعة كان لا يأتي فيها قالت فلما رآه أبوبكر قال ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا أمر حدث قالت فلما دخل تأخر له أبوبكر عن سريره فجلس رسول الله ﷺ وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر فقال رسول الله ﷺ أخرج عني من عندك فقال يا رسول الله إنما هما ابنتاي وما ذاك فداك أبي وأمي فقال إنه قد إذن لي في الخروج والهجرة قالت فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله؟ قال الصحبة قالت فو الله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت

---

(١) المغازي لابن إسحاق وسيرة ابن هشام وغيرها من كتب السير.

أبا بكر يومئذ[1] ثم أخبره أبو بكر بأنه قد أعد ناقتين لهذا اليوم من أربعة شهور فأبى النبي ﷺ أن يأخذ إحداهما إلا بالثمن قال أبو بكر هي لك يا رسول الله قال لا ولكن بالثمن الذي ابتعتها به فاشتراها بثمنها وكان اسمها القصواء رواه الطبراني وابن إسحاق وإنما رغب النبي ﷺ في مشتراها حتى يكون مهاجراً إلى الله بنفسه وماله على أتم الخلال وأحسن الأحوال وفي هذا اليوم نفسه استأجر النبي ﷺ وأبوبكر رضي الله عنه رجلاً من أمهر العارفين بطرق السفر اسمه عبدالله بن أريقط وهو من بني الديل بن بكر وكان مشركاً يدلهما على الطريق فدفعا إليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاها لميعادهما وقد وفى عبدالله بن أريقط مع شركه وهذا مصداق قوله ﷺ إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر) البخاري عن أبي هريرة.

وفي هذا اليوم أمر أبو بكر ولده عبدالله وكان غلاماً حاذقا فطناً خبيرا بالتدبير أن يأتي إليهما في الغار ليلاً ليخبرهما بكل ما يدبر لهما من المكائد في مكة ثم يبارح الغار في السحر ويصبح في أهل مكة كبائت فيهم وأمر أبوبكر مولاه عامر بن فهيرة رضي الله عنه وكان يرعى غنم أبي بكر أن يأتيهما في الغار والناس نيام بشاة حلوب ليشرب النبي ﷺ دائماً لبناً طرياً وأمره بشدة كتمان الأمر رواه ابن عقبة عن الزهري[2] وفي هذا اليوم أيضاً قامت أسماء وعائشة رضي الله عنهما بتجهيز زاد السفر وجعلتا منه شاة مطبوخة ووضعتاه في جراب وقطعت أسماء نطاقها فربطت فم الجراب ببعضه وفم قربة الماء المعدة للسفر ببعضه ولذلك سميت ذات النطاقين رواه ابن سعد[3] ثم بارح النبي ﷺ بيت أبي بكر رضي الله عنه بعد أن

---

(١) جزء من حديث الهجرة في البخاري.
(٢) انظر تأريخ الهجرة للبيلاوي.
(٣) انظر الطبقات لابن سعد.

واعده على العودة إليه ليلاً والتوجه إلى جبل ثور في أطراف مكة وعاد نهاراً إلى منزله الكريم ﷺ فاستقر فيه إلى الليل مع علي كرم الله وجهه.

٣- محاصرة بيته ﷺ وخروجه منه ﷺ

في مساء ذلك اليوم أحاط المشركون بالمنزل النبوي ليلاً لتنفيذ ما تآمروا واتفقوا عليه من قتله ﷺ بأيد مختلفة حتى يتفرق دمه الشريف في القبائل ولكن اختلفوا فمنهم من يرى الهجوم عليه في فراشه وهؤلاء أيضاً اختلفوا أيهم يكون أول مهاجم لـه فيوثقه ومنهم من يرى انتظاره حتى يخرج من بيته الشريف ليقتل خارج الدار وهؤلاء عللوا رأيهم بكون الجدر قصيرة وفي الهجوم تكشف على عورات النساء من الجيران فقالوا والله إنها لسبة في العرب أن يتحدث الناس عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمتنا ثم ترجح الرأي الأخير فباتوا خارج الدار ينتظرونه ﷺ عند خروجه آخر الليل وقد قضت حكمة الإله الحق الذي لا تأخذه سنة ولا نوم أن يغشيهم النعاس ثم يغرقهم في النوم فرقدوا حتى تصبحوا وفي تلك الليلة خرج ﷺ من بيته معتمداً على ربه مفوضاً أمره إليه ورعاية الله تحفظه وعين العناية تلحظه فرآهم متراصين أمام الدار ألقاهم النوم على الأحجار وخرج وهو يتلو ﴿ يٰسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ ﴾ (يس) إلى قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ ﴾ (يس) وصار يضع التراب على رؤوسهم وهم لا يشعرون، قال علماء السيرة النبوية وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفاً من حصى ورماه في وجوههم فما تركت الرمية واحداً منهم إلاَّ أصابته في رأسه وعينيه قال ابن عباس رضي الله عنهما فما أصاب رجلاً منهم حصاة إلاَّ قتل يوم بدر كافراً فالذين أصابتهم الحصى قتلوا يوم بدر والذين أصابهم التراب لم يقتلوا كما في شرح الزرقاني على المواهب وهذا من معجزات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهكذا حجبهم عن أنواره النبوية رب البرية سبحانه وتعالىٰ القائل ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾(الإسراء) قال السهيلي رحمه الله يؤخذ منه أن الشخص إذا أراد النجاة من ظالم أومن يريد به سوءاً أو أراد الدخول عليه يتلو هذه الآيات ١٠هـ [1]، وبات الإمام علي ﷺ تلك الليلة علىٰ فراش رسول الله وتسجىٰ ببرده الشريف وتأمل بربك قوة جنان علي ﷺ في مبيته في فراشه ﷺ بين أعداء لا يريدون إلا اختطاف الأرواح من الأشباح وفي ذلك يقول الإمام علي كرم الله وجهه:

وقيت بنفسي خير من وطئ الثرىٰ
ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
وقدم عزم الأعداء أن يمكروا به
فنجاه ذو الطول الإله من المكر
وبات رسول الله في الغار آمنا
مَوقَىٰ وفي حفظ الإله وفي ستر
وبت أراعيهم وما يتهمونني
وقد وطنت نفسي علىٰ القتل والأسر

وكانت وجهة رسول الله ﷺ تلك الليلة إلىٰ بيت أبي بكر ﷺ.

٤- من بيت أبي بكر ﷺ إلىٰ الغار

لم يعلم أحد بخروج رسول الله ﷺ حين خرج إلا علي بن أبي طالب وأبوبكر الصديق وآل أبي بكر أما علي ﷺ فإن رسول الله ﷺ أمره أن يتخلف حتىٰ يؤدي عن رسول الله الودائع التي كانت عنده للناس وكان الميعاد بين الرسول ﷺ وأبي بكر ﷺ في الليل فمر النبي ﷺ علىٰ أبي

(١) الروض الأنف.

بكرﷺ فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته وودعا آل أبي بكر ولمّا خرج النبي ﷺ من بيت أبي بكر ﷺ وقف بالحزورة في سوق مكة متأثراً بمفارقة وطنه وقال والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت[1] وروى أبو نعيم عن ابن إسحاق بلاغاً أنه لما خرج ﷺ متوجهاً إلى الغار قال (الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيئاً اللهم أعني على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالي والأيام اللهم اصحبني في سفري واخلفني في أهلي وبارك لي فيما رزقتني ولك فذللني وعلى صالح خلقي فقومني وإليك ربي فحببني وإلى الناس فلا تكلني أنت رب المستضعفين وأنت ربي أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرقت له السموات والأرض وكشفت به الظلمات وصلح عليه أمر الأولين والآخرين أن يحل بي غضبك أو ينزل عليّ سخطك أعوذ بك من زوال نعمتك وفجأة نقمتك وتحول عافيتك وجميع سخطك لك العتبى عندي حيثما استطعت ولا حول ولا قوة إلا بك وفي دلائل النبوة من مرسل ابن سيرين وهو عند أبي القاسم البغوي من مرسل ابن أبي مليكة وابن هشام عن الحسن البصري بلاغاً أن أبا بكر ليلة انطلق معه ﷺ إلى الغار كان يمشي بين يديه ساعة ومن خلفه ساعة فسأله فقال أذكر الطلب فأمشي خلفك وأذكر الرصد فأمشي أمامك فقال لو كان شيء أحببت أن تقتل دوني؟ قال إي والذي بعثك بالحق وكان ذهاب النبي ﷺ مع صاحبه ﷺ إلى الغار من غير الطريق المألوفة ولهذا طالت بهما المسافة في جبل وعر اضطر فيه ﷺ أن يخلع نعليه الشريفة فأصاب قدميه الشريفة وصباً ورآهما أبوبكر وقد تقطرتا دماً من شدة المشقة فبكى لرقة قلبه وشدة محبته للرسول ﷺ وكان ﷺ يمشي إلى الغار على أطراف أصابع قدميه لئلا يظهر أثرهما على

(١) الترمذي وهو حديث صحيح.

الأرض ويقول لأبي بكر ضع قدمك موضع قدمي فإن الرمل لا ينم[1] وكان أبو بكر يحمل النبي ﷺ على كاهله في بعض الطريق تخفيفاً عنه ولما وصلا إلى باب الغار كان ينتظرهما هناك عبدالله بن أبي بكر يحمل ما كان يملكه أبوه من مال وقدره خمسة آلاف درهم فسلمها إليه وانصرف رواه البلاذري.

ثم قال أبو بكر لرسول الله ﷺ والذي بعثك بالحق لا تدخل الغار حتى أدخله فإن كان فيه شيء -يعني من الهوام والحيات- نزل بي قبلك فدخله وجعل يلتمس بيده فكلما رأى جحراً قطع من ثوبيه وألقمه الجحر حتى فني أحد ثوبيه وقال ادخل يا رسول الله فإني سويت لك مكانا دخل رسول الله ﷺ الغار فصلى ركعتين وأبو بكر يرتقب ناظراً إلى باب الغار حتى إذا فرغ من صلاته توسد فخذ أبي بكر ونام من شدة ما تحمله من المشقة في الطريق فشعر أبوبكر رضي الله عنه بحركة في جحر ولم يبق معه إلا ثوب يستر العورة لا يستطيع أن يقتطع منه شيئاً فسده بعقبه فلدغ رضي الله عنه وجعلت الحيات والأفاعي تضربه وتلسعه ودموعه تنحدر ولم يتحرك لئلا يوقظ النبي ﷺ فسقطت دموعه على وجهه الشريف ﷺ فقال مالك يا أبابكر قال لدغت فداك أبي وأمي فتفل ﷺ على موضع اللدغ فذهب ما يجده ببركة رسول الله ﷺ رواه الإمام ابن رزين[2] ولأبي نعيم في الحلية عن سيدنا أنس رضي الله عنه فلما أصبح قال صلى الله عليه وسلم لأبي بكر أين ثوبك؟ فأخبره بالذي صنع فرفع صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي في الجنة فأوحى الله إليه قد استجبنا لك.

---

(١) انظر تاريخ الهجرة للبيلاوي.
(٢) المتوفى سنة ٥٢٥ هـ وانظر تاريخ الهجرة للبيلاوي ودلائل النبوة للبيهقي وشرح المواهب للزرقاني.

٥- حال المشركين وحيرتهم

في صباح يوم الجمعة ٢٨ صفر سنة١هجرية استيقظ المشركون الذين باتوا أمام الدار النبوية وغشاهم الله بالنعاس فهاجموا الدار حتىٰ وصلوا إلىٰ الفراش وكان من عادتهم أنهم لا يقتلون نائماً فأيقظوه فرأوه علياً فقالوا أين صاحبك؟ قال لا أدري إلا أنه تركني نائباً عنه حتىٰ أرد الودائع إلىٰ أهلها ثم اشتغل علي ﷺ برد الودائع.

وأتاهم آت وهم في حيرتهم فرأىٰ التراب علىٰ رؤوسهم فقال والله خرج عليكم محمد في جنح الليل ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وضع التراب علىٰ رأسه فوضعوا أيديهم علىٰ رؤوسهم فأحسو بالتراب فلما سمعوا ما قاله الإمام علي ﷺ وتحسسوا التراب علىٰ رؤوسهم خرجوا وانطلقوا في كل واد يهيمون وقالوا لا يدلنا عليه إلا آل أبي بكر فذهبوا إلىٰ بيته وأبو جهل يقدم قومه وطرقوا الباب فخرجت إليهم أسماء فقال أبو جهل أين أبوك قالت لا أدري أين أبي فلطم خدَّها الكريم لطمة أخرجت القرط من أذنها فأغلقت دونه الباب ودخلت باكية محتسبة صابرة رضي الله عنها وأرضاها.

جزع المشركون جزعاً شديداً لما تحققوا خروج المصطفىٰ ﷺ من بينهم وعجزوا عن معرفة مستقره وشق عليهم الأمر لتخوفهم من عواقب ذلك فنادوا في القبائل ألا من قتل محمداً أو أسره فله مائة من الإبل وبحثوا عنه في أعلىٰ مكة وأسفلها وبعثوا القافة قصاص الأثر في كل وجه يتأملون أثر الأقدام فعثر فريق منهم علىٰ أثر لأقدام أبي بكر ﷺ كما رواه أبو نعيم والواقدي فقالوا هذا أثر ابن أبي قحافة وفرحوا بهذا الاكتشاف وأقبل فتيان قريش بعصيهم وسيوفهم وتتبعوا الأثر بكل دقة شيئاً فشيئاً حتىٰ أوصلهم إلىٰ باب الغار.

٦- معجزات الغار وحيرة الكفار على بابه

الأول:

أنبت في الحال شجرة أم غيلان على باب الغار فسدته بفروعها الدقيقة وخياطاتها الرقيقة وزهرها الأبيض فحجبت باطن الغار عن أعين الكفار[١].

الثاني:

أوحي إلى العنكبوت فنسجت في الحال على فروع تلك الشجرة في باب الغار[٢] وقد حصل للعنكبوت بذلك شرف عظيم فقد روى الديلمي في مسند الفردوس مسلسلاً عن أبي بكر قال لا أزال أحب العنكبوت منذ رأيت رسول الله ﷺ أحبها ويقول جزى الله العنكبوت عنا خيراً فإنها نسجت عليّ وعليك يا أبا بكر في الغار حتى لم يرنا المشركون ولم يصلوا إلينا ونحن وإن نهينا عن قتل العنكبوت إلا أننا أمرنا بتطهير البيوت من نسجها فقد روى ابن عطية عن علي كرم الله وجهه قال طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فإن تركه يورث الفقر[٣] وفي هذا يقول محمد بن الحسن الكناني المتوفى٦٨٧ هـ.

ودود القز إن نسجت حريراً يَجمل لبُسه في كل شيء

فإن العنكبوت أجل منها بما نسجت على غار النبي

---

(١) أخرجه البزار في مسنده وابن سعد والبيهقي وأبو نعيم.

(٢) أخرجه أحمد عن ابن عباس وقال ابن كثير إسناده حسن وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار ا.هـ وأخرجه أبو نعيم وفيه النهي عن قتل العنكبوت وهو من طريق الواقدي.

(٣) هذه الآثار أسانيدها واهية.

الثالث:

ألهم حمامتين وحشيتين فعششتا على باب الغار وباضتا حتى يظن الرائي أن الغار مهجور وأنه لو دخله أحد لطار الحمام وتكسر البيض[1] وقد روى البزار في مسنده أن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين ولهذا حماه الإسلام لأنه حمى النبي ﷺ في الغار ولهذا لا يجوز صيد حمام الحرم فهوآمن[2] ولما وصل الكفار إلى باب الغار الذي أوصلهم إليه قصّاص الأثر أحاط المشركون بالغار وأصبح منهم رأي العين طمأن الرسول ﷺ الصديق بمعية الله لهما فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار لو أنّ أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فقال ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما[3] فأنزل الله السكينة التامة على قلب أبي بكر وصرف الله قلوب المشركين عن الغار وقال لهم أمية بن خلف وما أربكم[4] إلى الغار إن فيه لعنكبوتاً أقدم من ميلاد محمد ولو كان محمد دخله لانكسر البيض وتفسخ العنكبوت فانصرفت جموعهم ولم يعودوا إلى الغار بعد ذلك وسجل الحق عز وجل ذلك في قوله تعالى ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ

١- أخرجه ابن سعد والبيهقي وأبو نعيم.

٢- انظر الخصائص الكبرى للسيوطي.

٣- أخرجه البخاري وذكر ابن كثير في البداية والنهاية والزرقاني في شرح المواهب أنَّ أبابكر رضي الله عنه لما قال ذلك قال له صلى الله عليه وآله وسلم لو جاؤونا من هاهنا لذهبنا من هاهنا فنظر الصديق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر وإذا البحر قد اتصل به وسفينته مشدودة إلى جانبه.

٤- قصدكم وحاجتكم.

لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (التوبة)

ولله در البوصيري رحمه الله وهو يصور هذا المشهد في بردته فقال:

أقسمت بالقمر المنشق أنّ له من قلبه نسبة مبرورة القسم
وما حوىٰ الغار من خير ومن كرم وكل طرف من الكفار عنه عمِ
فالصدق في الغار والصديق لم يردا وهم يقولون ما بالغار من أرمِ
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت علىٰ خير البرية لم تنسج ولم تحمِ
وَقِيّتُ الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم

وقال رحمه الله في هُمزيته:

ويح قوم جفوا نبياً بأرض ألفته ضبابها والظباء
وسلوه وحن جذع إليه وقلوه ورده الغرباء
أخرجوه منها واواه غار وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت ما كفته الحمامة الحصداء

وروى ابن عدي وابن عساكر عن أنس أن رسول الله ﷺ قال لحسان هل قلت في أبي بكر شيئاً؟ قال نعم قال قل وأنا أسمع فقال:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

التالي الثاني المحمود شيمته وأول الناس طراً صدق الرسلا

والثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعد الجبلا

وكان حِبَّ رسول الله قد علموا من البرية لم يعدل به رجلا

وفي المواهب وشرحها أن أبابكر رضي الله عنه لما رأى القافة –أي قُصاص الأثر– اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال إن قُتِلتُ فأنا رجل واحد وإن قُتِلتَ أنت هلكت الأمة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ يعني بالمعونة والنصر ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾ وهي أمنة تسكن عندها القلوب نزلت على أبي بكر رضي الله عنه لأنه كان منزعجاً وأيده –أي أيد الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ (التوبة:٤٠) – أي الملائكة ليحرسوه في الغار وليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته صلى الله عليه وسلم ا.هـ، قال شيخ مشايخنا العلامة عبدالله سراج الدين رحمه الله تعالى فانظر وتأمل بعين البصيرة في أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم وشفقته على الصديق رضي الله عنه وكيف أنه صلى الله عليه وسلم لما رأى حزن الصديق قد اشتد عليه قَوَّى قلبه ببشارة ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ وكانت تحفة ثاني اثنين مُدَّخرة له رضي الله عنه دون جميع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فهو الثاني من الرجال في الإسلام

والثاني في بذل النفس والعُمر وتأمل قول موسىٰ لبني إسرائيل ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ (الشعراء) وقول نبينا صلىٰ الله عليه وآله وسلم للصديق رضي الله عنه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ فموسىٰ عليه السلام خص من ربه بشهود المعيّة وحده ولم يتعدّ ذلك الشهود إلىٰ أتباعه أما نبينا صلىٰ الله عليه وسلم فتعدىٰ منه شهوده إلىٰ الصديق رضي الله عنه ولم يقل إنَّ الله معيَ لأنه أمدّ أبا بكر بنوره فشهد سر المعية ثم سرىٰ سرّ السكينة إلىٰ أبي بكر رضي الله عنه وأين معية الربوبية في قصة سيدنا موسىٰ عليه السلام من معية الإلهية في قصة سيدنا ونبينا محمد صلىٰ الله عليه وسلم؟ وإن اسم الله أعظم من اسم الرب وأشمل وأجمع فكانت معية الله تعالىٰ برسوله صلىٰ الله عليه وآله وسلم معية خاصة شاملة شملت أبابكر رضي الله عنه كما قال صلىٰ الله عليه وسلم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ ا.هـ.

٧- مدة الغار

لما قطع الله دابر المشركين وصرفهم عن الغار أقام به ﷺ ومعه أبوبكر رضي الله عنه ثلاثة أيام وكان يزورهما فيه عبدالله بن أبي بكر في جوف الليل ويخبرهما بما يخوض المشركون فيه من حديثهما ويأتي إليهما عامر بن فهيرة بشاة يأخذان منها كل ليلة لبناً طرياً وينصرفان عنهما والناس نيام وفي هذه المدة والرسول مع صاحبه في الغار عطش الصديق رضي الله عنه فقال له رسول الله ﷺ اذهب إلىٰ صدر الغار فاشرب فانطلق أبوبكر إلىٰ صدر الغار وشرب منه ماء أحلىٰ من العسل وأبيض من اللبن وأزكىٰ رائحة من المسك ثم عاد فقال رسول الله ﷺ إن الله أمر الملك الموكل بأنهار الجنة أن اخرق نهراً من جنة الفردوس إلىٰ صدر الغار لتشرب[1].

(١) أخرجه ابن عساكر بإسناد واه عن ابن عباس رضي الله عنهما انظر حجة الله علىٰ العالمين للنبهاني.

٨- الخروج من الغار

روىٰ هشام بن محمد الكلبي أن النبي ﷺ خرج من الغار في صباح يوم الاثنين غرة ربيع الأول سنة ١هجرية ومعه أبوبكر فوجدا عبدالله بن أريقط الدليل الذي استأجراه وسلماه الناقتين في انتظارهما بالراحلتين فسارا علىٰ بركة الله عز وجل وسافر معهما عامر بن فهيرة يخدمهما ويعينهما كما قاله ابن عقبة واستمروا مجدين في السير من طريق السواحل معتمدين علىٰ ربهم يأكلون ويشربون مما تزودوا به حتىٰ فرغ منهم ولم يجدوا بداً من مشترىٰ زاد لهذا السفر الطويل ممن يصادفونه في الطريق.

٩- وصولهم إلىٰ خيمة أم معبد

روىٰ الحاكم وصححه البيهقي والطبراني وغيرهم[1] أنهم لما وصلوا إلىٰ موضع معروف يسمىٰ قُدَيْدَاً وجدوا خيمة من خيام العرب التي يقيمون بها في الخلوات وكانت مأوىٰ رجل اسمه أكثم بن الجون الخزاعي ومعه زوجته عاتكة بنت خالد الخزاعية وولدهما معبد بن أكثم وكان أكثم يملك أعنزاً وغنماً قليلة يتساوكن هزالاً لقلة الغذاء واحتباس المطر فكان يسوقهن نهاراً إلىٰ أعشاب الجبل ويرعاهن ويترك في الخيمة زوجته وولده الصغير المذكور إلىٰ المساء فيعود بها إلىٰ خيمته وكان عنده في ذلك اليوم نعجة عجفاء لم تقو علىٰ الخروج لضعفها فتركها في كسر الخيمة وانصرف بغيرها إلىٰ المسارح وكان من عادة زوجته أم معبد أن تجلس بفناء الخيمة محتبية تسقي الصادين وتطعم الجائعين ممن يمر عليها من المسافرين غير أن أزمة العام وقلة المطر

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ودلائل النبوة للبيهقي والمستدرك للحاكم وابن كثير في تأريخه والنبهاني في حجة الله علىٰ العالمين والسيرة الحلبية والدحلانية والتعليق الضروري وتأريخ الهجرة للبيلاوي وغيرها.

وغلاء الأقوات غير من عادتها في تلك السنة فلم يكن لها فضل مال تعين به القادمين و كانت فصيحة جميلة عفيفة جليلة.

فلما مر عليها الركب النبوي طلبوا منها أن تبيعهم ما تيسر من لحم أو تمر أو لبن فقالت والله لو كان عندنا شيء ما أعوزناكم القِرىٰ . فنظر النبي ﷺ إلىٰ الشاة المتخلفة في الخيمة من الضعف وقال هل بها من لبن؟ قالت هي أجهد من ذلك قال أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت نعم إن رأيت بها حلباً وأمرت ولدها الصغير معبداً فأحضر الشاة لتقنعهم بضعفها وتدفع تهمة البخل عن نفسها ولم يدر بخَلَدِها أن يد ضيفها الكريم أبرك يد علىٰ الإطلاق إذا مست ضرع شاتها فاضت ألبانها بقدرة الله معجزة لسيدي حبيب الله ﷺ فمسح ﷺ بيده ضرعها وظهرها وسمىٰ الله عز وجل ودعا لها في شاتها فتفاجت – يعني فتحت الشاة ما بين رجليها للحلب – عليه ودرت ودعا ﷺ بإناء يربض– يعني يروي– الرهط فحلب فيه ثجاً أي كثيرا حتىٰ علاه البهاء يعني بريق الرغوة ثم سقاها حتىٰ رويت ثم سقىٰ أصحابه حتىٰ رووا ثم شرب ﷺ آخرهم وقال ساقي القوم آخرهم شربا [1] ثم حلب فيه ثانية بعد بدء حتىٰ ملأ الإناء ثم غادره عندها فقل ما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً يتساوكن – أي تتمايل من ضعفها – هزالاً فلما رأىٰ اللبن عجب فقال من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشاة عازب ولا حلوب في البيت – الشاة العازب أي البعيدة المرعىٰ لا تأوي المنزل في الليل ولا حلوب أي لا شاة تحلب – قالت لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا قال صِفيه لي يا أم معبد قالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة – الحُسن – أبلج الوجه – مشرق – حسن الخلق لم تعبه نحله يعني أنه ليس نحيلا ولم تزر به صعلة – الصعلة صغر الرأس

(١) أخرجه الترمذي وابن ماجه.

وهى تعني الدقة والنحول في البدن - وسيم في عينيه دعج - دعج شدة سواد العين في شدة بياضها - وفي أشفاره وطف - أي في الشعر النابت على الجفن طول - وفي صوته صهل كالبحة وهو ألا يكون حاد الصوت وفي عنقه سطع السطع طول العنق مع اعتدال إلى آخر ما ذكرت من أوصافه الشريفة قال أبو معبد هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا، وقد روي أنها كثرت غنمها ونمت حتى جلبت منها جلباً إلى المدينة فمر أبوبكر فرآه ابنها فعرفه فقال يا أماه هذا الرجل الذي كان مع المبارك فقامت إليه فقالت يا عبدالله من الرجل الذي كان معك؟ قال أو ما تدرين من هو قالت لا قال هو نبي الله فأدخلها عليه فأطعمها رسول الله ﷺ وأعطاها وفي رواية فانطلقت معي وأهدت لرسول الله ﷺ شيئاً من أقط ومتاع الأعراب فكساها وأعطاها قال ولا أعلمه إلا قال وأسلمت وذكر صاحب الوفا أنها هاجرت هي وزوجها وأسلم أخوها خنيس واستشهد يوم الفتح، وعلى كل حال فقد أسلمت هي وزوجها وولدها. وأخرج أبو نعيم وابن سعد من طريق محمد بن عمر بن واقد الأسلمي المدني قال حدثني حزام بن هشام عن أبيه هشام بن حبيش بن خالد الخزاعي عن عمته أم معبد رضي الله عنها قالت بقيت الشاة التي لمس رسول الله ﷺ ضرعها عندنا حتى زمن الرمادة وكنا نحلبها صبوحاً وغبوقاً[1] وما في الأرض لبن لا قليل ولا كثير ومعنى ذلك أن الشاة بقيت على قيد الحياة إلى سنة ثماني عشرة هجرية وسميت هذه السنة بعام الرمادة لقيام ريح شديدة في هذا العام في خلافة عمر رضي الله عنه ومعها رماد كثير غطى وجه الأرض فسد مسام النبات وأجدبت الأرض وامتنع المطر

(١) الصبوح الشرب بالغداة، والغبوق الشرب بالعشي.

واشتدت الازمة وضاقت على الناس أنفسهم وحزن عمر لما أحاط بالناس من الضيق والشدة وآلى أن لا يذوق لحماً ولا سمناً ولا لبناً حتى يفرج الله كرب المسلمين وقال كيف يعنيني شأن الناس إذا لم يمسني ما مسهم وفي هذه السنة لم ينفع أم معبد إلا تلك الشاة النبوية المباركة فكانت تحلبها صباحاً ومساءً حيث لم يوجد لبن في غيرها من الحوالب وقد سجل شاعر الإسلام أحمد محرم قصة أم معبد فقال:

ما حديث لأم معبد نستسقيه ضمأى النفوس عذباً نميرا
سائل الشاة كيف درت وكانت كزة الضرع لا تُرجّى الدرورا
بركات السمح المؤمل يقري أمم الأرض زائراً أو مزورا
مظهر الحق للنبوة سبحانك رباً فرد الجلال قديرا

وذكر الزمخشري في ربيع الأبرار أنه كان إلى جانب خيمة أم معبد شجرة عوسج وأن النبي ﷺ توضأ عندها وتمضمض ومج فيها فعظمت تلك الشجرة جداً وجاءت بثمر كأعظم ما يكون في لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد ببركة ما تغذت به من ماء وضوئه ﷺ وكان في ثمرها وورقها شفاء للناس والدواب والأنعام وقد بقيت تلك الشجرة إلى سنة ٦٠ هجرية حيث ذبل ورقها وأصفر ويبست وسبحان الباقي بعد فناء خلقه[1].

(١) انظر تاريخ الهجرة للبيلاوي.

١٠- ذكر إخبار الهواتف عنه ﷺ

رجع المشركون إلى مكة بعد أن أعياهم البحث ولم يقفوا للرسول ﷺ على خبر فبينما هم في حيرتهم سمعوا هاتفاً من جبل أبي قبيس بعد ثلاث ليالٍ يسمعون صوته ولا يرونه يقول كما رواه اليعمري:

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلاّ خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فعال لا تجارى وسودد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهناً لديها لحالب يرددها في مصدر ثم مورد

فلما سمعوا ذلك عرفوا وجهة النبي ﷺ وقد قال حسان في ذلك:

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم وقدس من يسري إليه ويغتدي
ترحل عن قوم فضلت عقولهم وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضُلاّل قوم تسفهوا عمى وهداة يهتدون بمهتدي

وقد نزلت منه على أهل يثرب ركاب هدىً حلت عليهم بأسعد
نبي يرىٰ ما لا يرىٰ الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وان قال في يوم مقالة غائب فتصديقها في اليوم أوفي ضحىً غد
ليهن أبا بكر سعادة جده بصحبته من يسعد الله يسعد

١١- قصة سراقة ابن مالك

أعلنت قريش في نوادي مكة أنه من يأت بالنبي ﷺ حياً أو ميتاً فله مائة ناقة وانتشر هذا الخبر عند قبائل الأعراب الذين في ضواحي مكة وطمع سراقة بن مالك بن جعشم في نيل الكسب الذي أعدته قريش لمن يأتي برسول الله ﷺ فأجهد نفسه لينال ذلك ولكن الله بقدرته التي لا يغلبها غالب جعله يرجع مدافعاً عن رسول الله ﷺ بعدما كان جاهداً عليه، قال ابن شهاب وأخبرني عبدالرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن مالك بن جعشم أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن واحد بن جعشم يقول جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل منهما من قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتىٰ قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة إني رأيت آنفاً أسودة (١) بالساحل أراها محمداً وأصحابه قال سراقة فعرفت أنهم هم فقلت له إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها عليّ وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجة الأرض وخفضت عاليه حتىٰ أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتىٰ

(١) جمع قلة لسواد وهو الشخص يرىٰ من بعيد أسود.

دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الأزلام تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهولا يلتفت وأبوبكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة إذا لأَثَرِ يديها عثان - يعني دخان - ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره فناديتهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ فقلت له إن قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني يعني لم يأخذا منى شيئاً ولم يسألاني إلا أن قال اخف عنا فسألته أن يكتب لي في كتاب أمان فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم جلد ثم مضى رسول الله ﷺ[1] وكان مما اشتهر عند الناس من أمر سراقة ما ذكره ابن عبد البر وابن حجر وغيرهما قال ابن عبد البر روى سفيان بن عيينة عن أبي موسى عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال لسراقة بن مالك كيف بك إذا لبست سواري كسرى قال فلما أتى عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقة بن مالك فألبسه إياها وكان سراقة رجلا أزبَّ[2] كثير شعر الساعدين وقال له ارفع يديك فقال الله أكبر الحمد لله الذي سلبها كسرى بن هرمز الذي كان يقول أنا رب الناس وألبسها سراقة بن مالك بن جعشم أعرابي من بني مدلج ورفع بها عمر صوته ثم أركب سراقة وطيف به المدينة والناس حوله وهو يرفع عقيرته مردداً

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) التزبب في الإنسان كثرة الشعر وطوله.

قول الفاروق الله أكبر الحمد لله الذي سلبهما كسرىٰ بن هرمز وألبسهما سراقة بن جعشم أعرابياً من بني مدلج[1] ولما رجع سراقة إلى مكة جعل يقص ما كان من قصته وقصة فرسه واشتهر هذا عنه وتناقلته الألسنة حتىٰ امتلأت به نوادي مكة فخاف رؤساء قريش أن يكون ذلك سبباً في إسلام بعض أهل مكة وكان سراقة بن مالك أمير بني مدلج ورئيسهم فكتب أبو جهل إليهم:

بني مُدلجَ إني أخاف سفيهكم سراقة مستغو لنصر محمد
عليكم به ألاّ يفرق جمعكم فيصبح شتىٰ بعد عز وسؤدد

فقال سراقة يرد علىٰ أبي جهل:

أباحكم والله لوكنت شاهدا لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمه
علمتَ ولم تشكك بأن محمدا رسول وبرهان فمن ذا يقاومه
عليك فكف القوم عنه فإنني أرىٰ أمره يوماً ستبدو معالمه
بأمر نود الناس فيه بأسهرهم بأن جميع الناس طراً مسالمه

١٢- قصة بريدة بن الحصيب

وممن أغراهم الطمع في نوال المائة ناقة التي جعلوها لمن يقتل أو يأسر محمداً ﷺ رجل من قبيلة بني سهم اسمه بريدة بن الحصيب بن عبدالله بن الحارث الأسلمي فقد أخرج البيهقي عنه قال لما جعلت قريش مائة من الأبل لمن يرد النبي ﷺ حملني الطمع فركبت في سبعين

(١) انظر الاستيعاب والإصابة والسيرة النبوية للصلابي.

من بني سهم في طريق الهجرة فلقيته ولم أعرفه فقال من أنت قلت بريدة فالتفت إلى أبي بكر وقال برد أمرنا وصلح ثم قال ممن أنت قلت من أسلم قال سلمنا ثم قال ممن؟ قلت من بني سهم قال خرج سهمك يا أبا بكر كل هذا وبريدة لا يعلم أن الذي يسأله هو ذلك الذي أخرجه حب أديته والله لـه حافظ وناصر ولهذا قال بريدة فقلت ومن أنت قال محمد بن عبدالله رسول الله.

ومن عجيب تدبير الله أن كشف الحجاب عن قلب بريدة فشاهد الأنوار وظهرت له الأسرار وملك اليقين لبه وأنار الإيمان قلبه فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فأسلم بريدة وأسلم من معه جميعاً وقال بريدة الحمد لله الذي أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين فلما أصبح قال بريدة يا رسول الله لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء فحل عمامته ثم شدها في رمح ثم مشى بين يديه وزاد الله الركب النبوي بهم قوة وبهدايتهم عزة فسبحان مقلب القلوب[1].

١٣- قصة راعي الغنم

أخرج البيهقي في دلائل النبوة عن قيس بن النعمان قال لما انطلق النبي ﷺ وأبوبكر مستخفين مروا بعبد يرعى غنماً فاستسقياه اللبن فقال ما عنده شاة تحلب غير أن هاهنا عناقاً حملت أول الشتاء وقد أخرجت وما بقي لها لبن فقال ادع بها فاعتقلها النبي ﷺ ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت قال وجاء أبو بكر بمجّن فحلب وسقى أبا بكر ثم حلب فسقى الراعي ثم حلب فشرب فقال الراعي بالله من أنت فوالله ما رأيت مثلك قط قال أو تراك تكتم عليّ حتى أخبرك قال نعم قال فإني محمد رسول الله فقال أنت الذي تزعم قريش أنه صابئ؟ قال إنهم ليقولون ذلك قال فأشهد أنك نبي وأشهد أن ما جئت به حق

(١) دلائل النبوة وتاريخ الهجرة وفتح الباري.

وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي وأنا متبعك قال إنك لن تستطيع ذلك يومك فإذا بلغك أني قد ظهرت فأتنا[1]

١٤- لقاء النبي ﷺ بعض أصحابه في الطريق

ومما وقع في الطريق إلى المدينة أنه ﷺ لقىٰ الزبير بن العوام في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام فكسىٰ الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياباً بيضاء رواه البخاري وكذا روىٰ أصحاب السير أن طلحة بن عبيدالله لقيهما أيضاً وهو عائد من الشام وكساهما بعض الثياب (السيرة النبوية للصلابي.

١٥- قصة إسلام لصّين

كان في طريقه ﷺ بالقرب من المدينة لصان من أسلم يقال لهما المهانان فقصدهما ﷺ وعرض عليهما الإسلام فأسلما ثم سألهما عن أسمائهما فقالا نحن المهانان فقال بل أنتما المكرمان وأمرهما أن يقدما عليه المدينة[2].

١٦- تورية أبي بكر رضي الله عنه

كان أبو بكر معروفاً في طريق المدينة لكثرة أسفاره للتجارة فكان كل من يصادفه يسلم عليه ويسأله عمن معه فكان لا يعرّفهم بحقيقة الرسول ﷺ خشية أن يكونوا علىٰ اتصال بالمشركين ولذا كانوا إذا سألوه وقالوا له من هذا الذي معك فيقول لهم هذا رجل يهديني السبيل، روىٰ البخاري في باب الهجرة عن أنس قال كان الرجل يلقىٰ أبا بكر فيقول يا أبا بكر من هذا الذي بين يديك فيقول هذا الرجل

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي وابن كثير في البداية والنهاية.

(٢) ذكر خبرهما أحمد في المسند والهيثمي في المجمع وقال وابن سعد اسمه عبدالله ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات وانظر السيرة النبوية للصلابي.

يهديني السبيل فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق وهو إنما يعني سبيل الخير.

١٧- شيبة أبي بكر ﷺ

قد شيبت أهوال الهجرة وأحوال الفجرة شعر أبي بكر فكان من يراه مع النبي ﷺ يظنه شيخاً ويظن الرسول شاباً لأنه ﷺ لم يكن شاب إذ ذاك وقد وصفت أم معبد النبي ﷺ بأنه شديد سواد الشعر بينما أبوبكر ﷺ كان أشمط المهاجرين كما رواه البخاري عن أنس والأشمط من كثر الاختلاط بين شعره الأبيض والأسود.

١٨- الوصول إلى قباء

في يوم الاثنين ٨ربيع الأول سنة ١هجرية وصل النبي ﷺ إلى قباء ضواحي المدينة وكان ﷺ يحب يوم الاثنين وكانت أغلب الحوادث الهامة تحصل له ﷺ يوم الاثنين فهو يوم مولده ويوم رسالته ويوم خروجه مهاجراً من مكة ويوم قدومه المدينة ويوم وفاته ﷺوكانت الأنصار مع المهاجرين يترقبون مقدم رسول الله ﷺ فكانوا يخرجون لانتظاره كل يوم في طريق الحرة وقباء صباحاً فإذا اشتدت حرارة الشمس عادوا إلى منازلهم ففي ذلك اليوم انتظروه على عادتهم ورجعوا بعد أن طال انتظارهم فإذا رجل من اليهود على حصن عال يرى من بعيد قوماً قادمين يزول بهم السراب عليهم بيض الثياب وهو يعرف شغف الأنصار بقدوم نبينا ﷺ فينادي بأعلى صوته يا معشر المسلمين هذا صاحب دولتكم الذي تنتظرونه قد أقبل فخرج إليه ﷺ الأنصار سراعاً وقد حملوا سلاحهم تطميناً لنفسه الشريفة وإظهاراً للقوة التي أعدوها للدفاع عنه وكان فريق منهم قد أسلم ولم يتشرف برؤيته قبل ذلك فظنوه أبا بكر فسلموا عليه وحيوه تحية مباركة طيبة ومنعهم الحياء والأدب عن الاستفسار حتى أصابت الشمس النبي ﷺ

فوقف أبو بكر يظلل عليه بردائه فعند ذلك عرفوا صاحب اللواء المرفوع وميزوا التابع من المتبوع.

روى البخاري عن أنس قال أقام ﷺ بقباء أربع عشرة ليلة وأخرج من طريق الزهري عن عروة أنه ﷺ أقام فيهم بضع عشرة ليلة وقد بنى ﷺ مسجد قباء في مدة إقامته بها في الأيام المذكورة فقد روى الطبراني في الكبير ورجاله ثقات عن الشموس بنت النعمان قالت نظرت إلى رسول الله حين قدم قباء ونزل وأسس هذا المسجد فرأيته يأخذ الحجر أو الصخر حتى يهصره الحجر أي يميله وأنظر إلى بياض التراب على بطنه فيأتي الرجل من أصحابه ويقول بأبي أنت وأمي يا رسول الله اعطني أكفك فيقول لا خذ مثله حتى أسسه ﷺ وروى ابن أبي شيبة أن عبدالله بن رواحة كان يقول وهم يبنون في مسجد قباء:

أفلح من يعالج المساجدا يتلو الكتاب قائماً وقاعدا
ولا يبيت الليل عنه راقدا

فكان ﷺ يعجبه قوله ويردد أواخر كلمه ولما أتموا بناء مسجد قباء صلى فيه النبي ﷺ بالمسلمين جماعة فكان أول مسجد صلى فيه المسلمون صلاة الجماعة معلنين بها آمنين من أذى المشركين وكانت قبلة صلاته ﷺ في مسجد قباء بعد بنائه إلى بيت المقدس على خلاف قبلة صلاته قبل الهجرة فإنها كانت إلى الكعبة المشرفة وذلك أن الله تعالى أمره بعد الهجرة بالصلاة إلى بيت المقدس فصلى بالمسلمين ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً وكان يرجو الله تعالى أن يحول قبلته إلى الكعبة فحولت إلى الكعبة في السنة الثانية للهجرة وكان النبي ﷺ بعد إقامته بالمدينة لا ينسى مسجد قباء فكان يحن إليه ويزوره يوم السبت

من كل أسبوع راكباً أو ماشياً فيصلي فيه أخرج مالك وأحمد والبخاري والنسائي والحاكم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يأتي مسجد قباء كل سبت راكباً أو ماشيا وفي مسجد قباء نزل قوله تعالىٰ ﴿ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ ﴾ (التوبة: ١٠٨) وعن سهل بن حنيف عن النبي ﷺ أنه قال من توضأ فأسبغ الوضوء وجاء مسجد قباء وصلىٰ فيه ركعتين كان له أجر عمرة[١].

وعن عائشة بنت سعد قالت سمعت أبي يقول والله لأن أصلي في مسجد قباء ركعتين أحب إليّ من أن آتي بيت المقدس مرتين ولو يعلمون ما فيه لضربوا إليه أكباد الأبل[٢] وكان نزول رسول ﷺ في قباء علىٰ سعد بن خيثمة قال ابن إسحاق ومنهم من يقول إنه نزل علىٰ كلثوم بن الهدم وكان مجلسه للناس عند سعد بن خيثمة وذلك أنه كان عزباً لا أهل له وفي قباء لحق علي ﷺ برسول الله ﷺ بعد رد الودائع التي كلف بها وقطع الطريق في الهجرة إلىٰ المدينة ففرح النبي ﷺ بمقدمه ورآه يشكو ألماً شديداً بقدميه مما عاناه في الطريق ماشياً حتىٰ تعبت قدماه فمسحها النبي ﷺ ودعا له فشفاه الله[٣].

١٩- مسجد بني سالم

في صباح يوم الجمعة ١٩ربيع الأول سنة ١هجرية خرج النبي ﷺ من قباء فأدركته الجمعة في مكان بين قباء والمدينة يقال له رانوناء كعاشوراء وهو مكان يسكنه بنو سالم بن عوف من الأنصار ورآهم قد

---

(١) أخرجه أحمد وليس فيه تحديد الركعات وابن أبي شيبة وفيه أربع ركعات والنسائي ولم يذكر فيه عدد الركعات وابن ماجه والبيهقي والطبراني وصححه الحاكم.

(٢) الحاكم وصححه وأقره الذهبي وتبعهما الحافظ في فتح الباري.

(٣) انظر تأريخ الهجرة للبيلاوي.

بنوا لهم مسجداً صغيراً على يمين السالك إلى قباء بالأحجار وقد وصلوا في البناء إلى ارتفاع نصف قامة فنزل ﷺ وخطب في مسجدهم وصلى الجمعة بأصحابه الكرام فكانت أول جمعة صلاّها وأول خطبة نبوية للجمعة في الإسلام ونص الخطبة ذكره الحافظ ابن جرير قال حدثني يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب عن سعيد بن عبد الرحمن الجُمحي أنه بلغه عن خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أول جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عوف رضي الله عنهم أنه قال:

الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأومن به ولا أكفره وأعادي من يكفره وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمن ودُنوٍّ من الساعة وقرب من الأجل ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى وضل ضلالاً بعيداً وأوصيكم بتقوى الله تعالى فإنه خير ما أوصى به المسلمُ المسلمَ أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله فاحذروا ما حذَّركم الله من نفسه ولا أفضل من ذلك نصيحة ولا أفضل من ذلك ذكرا وإنه تقوى لمن عمل به على وجل ومخافة وعون صدق على ما تبتغون من أمر الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله تعالى من أمر السر والعلانية ولا ينوي بذلك إلا وجه الله تعالى يكن له ذكراً في عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم وما كان من سوى ذلك ﴿ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ (آل عمران) والذي صدق قوله وأنجز وعده لا خلف لذلك فإنه يقول تعالى ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (ق) واتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له

أجراً ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً وإن تقوىٰ الله تقي مقته وتقي عقوبته وتقي سخطه وإن تقوىٰ الله تبيض الوجه وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرِّطوا في جنب الله قد علمكم الله كتابه ونهج بكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله إليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة ولا قوة إلا بالله فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فإنه من أصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضي علىٰ الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال الحافظ ابن كثير هكذا أوردها ابن جرير وفي السند إرسال وقال البيهقي باب أول خطبة خطبها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم حين قدم المدينة ثم أورد ابن كثير إسناد البيهقي إلىٰ أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما قال كانت أول خطبه خطبها رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم بالمدينة أن قام فيهم فحمد الله وأثنىٰ عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد أيها الناس فقدموا لأنفسكم تَعلمُنّ والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسولي فبلغك وآتيتك مالاً وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك؟ فينظر أي العبد يمينا وشمالاً فلا يرىٰ شيئا ثم ينظر قدّامه فلا يرىٰ غير جهنم فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإن بها تجزىٰ الحسنة عشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف وفي سيرة ابن هشام زيادة والسلام عليكم وعلىٰ رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم خطب رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم خطبة أخرىٰ فقال:

إن الحمد لله أحمده و أستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إن أحسن الحديث كتاب الله قد أفلح من زَيَّنَهُ الله في قلبه وأدخله في الإسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من أحاديث الناس إنه أحسن الحديث وأبلغه أحبوا من أحب الله أحبو الله من كل قلوبكم ولا تملّوا كلام الله وذكره ولا تقس عنه قلوبكم فإنه من يختار الله ويصطفي فقد سماه خيرته من الأعمال وخيرته من العباد والصالح من الحديث ومن كل ما أوتي الناس من الحلال والحرام فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واتقوه حق تقاته واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم وتحابوا بروح الله بينكم إن الله يغضب أن يُنكث عهده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قال ابن كثير بعد ما أورد ذلك وهذه الطريق أيضاً مرسلة إلا أنها مقوية لما قبلها وإن اختلفت الألفاظ ا.هـ من البداية والنهاية ثم بعد صلاة الجمعة ركب ناقته وسار بأصحابه الكرام إلى المدينة المنورة.

٢٠- دخول رسول الله ﷺ مع صحبه المدينة المنورة:

في يوم الجمعة ١٩ربيع الأول سنة ١هجرية دخل النبي ﷺ المدينة المنورة وقد أراد أن يعلّم المسلمين بقدر أبي بكر الصديق الذي كان له في الحياة خير رفيق فأردفه على ناقته ودخلا المدينة على ناقة واحدة إعلاناً بحبه وشدة قربه روى البخاري ﷺ عن أنس ابن مالك قال كأني أنظر إلى النبي ﷺ على راحلته وأبوبكر ردفه وكان يوم دخوله ﷺ المدينة يوماً مشهوداً وفي غرة أيام الهناء معدودا فقد روى البخاري عن البراء بن عازب قال ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ وروى الدارمي وابن أبي خيثمة عن أنس بن مالك قال شهدت يوم دخول النبي ﷺ المدينة فلم أر يوماً أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا في المدينة وعند أحمد والترمذي من حديث أنس

رضي الله عنه قال لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة أضاء منها كل شيء وعند وصوله ﷺ إلى المدينة قيل في المدينة جاء نبي الله جاء نبي الله ﷺ (البخاري).

وفي صحيح مسلم عندما دخل رسول الله ﷺ المدينة صعد الرجال والنساء فوق البيوت وتفرّق الغلمان والخدم في الطرق ينادون يا محمد يا رسول الله يا محمد يا رسول الله.

وروى البيهقي في الدلائل أن النبي ﷺ لما دخل المدينة صعدت ذوات الخدور فوق الأجاجير[1] يهنئنه بقولهن:

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع

واخرج الحاكم والبيهقي عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ لما دخل المدينة خرج من بني النجار جوار يضربن بالدفوف ويقلن:

نحن بنات النجار
يا حبذا محمد من جار

فقال ﷺ أتحببنني؟ قلن نعم يا رسول الله فقال ﷺ الله يعلم أن قلبي يحبكم ولعبت الحبشة فرحاً بقدوم رسول الله ﷺ روى أبو داود

(١) سطوح الدور.

عن أنس بن مالك لما قدم النبيﷺ لعبت الحبشة بحرابهم فرحاً بقدومه وكان من عادة أهل الحبشة المقيمين بجزيرة العرب أن يمثلوا حركات حربية بالدرف والسيوف والحراب في أيام الأعياد وأوقات الصفاء ويسمون ذلك ألعاب الحبشة وهي تمثيل الحركات الحربية ففعلوا ذلك يوم قدومه ﷺ فرحاً وسروراً كل هذا والرسول ﷺ سائر في المدينة على ناقته مردف أبابكر وقد أرخى لها الزمام والكل يريد منه ﷺ أن ينزل عنده والرسول يدعو لهم ويقول خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ومعنى مأمورة أي أمرها الله تعالى بالجلوس في مكان معين قد عينه الله تعالى لها فبركت ناقته موضع المسجد النبوي وهو يومئذ مِرْبَدُ ثم ثارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى أتت دار بني النجار فبركت فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا المنزل إن شاء الله تعالى وفي هذا إيحاءات إلى أن المحيا والممات هناك في المسجد النبوي وأما منزل أبي أيوب رضي الله عنه فأمر مؤقت واحتمل أبو أيوب رضي الله عنه رحله صلى الله عليه وسلم وأدخله بيته وكانت دار بني النجار أوسط دور بني الأنصار وأفضلها وهم أخوال عبد المطلب جده صلى الله عليه وآله وسلم ولذا أكرمهم بنزوله عندهم وفي الحديث الذي رواه الإمام الحافظ أبو يوسف صاحب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنهما في كتاب الذكر والدعاء عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال لما نزل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قدم المدينة فكنت في العلو فلما خلوت إلى أم أيوب قلت لها رسول الله أحق بالعلو منا تنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحي فما بت تلك الليلة لا أنا ولا أم أيوب فلما أصبحت قلت يا رسول الله ما بت تلك الليلة أنا ولا أم أيوب قال صلى الله عليه وآله وسلم لِمَ يا أبا أيوب؟ قلت كنت أحق بالعلو منا تنزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحي لا والذي بعثك بالحق لا أعلو سقيفة أنت تحتها أبداً، وفي رواية

فلم يزل أبو أيوب رضي الله عنه يتضرع إليه صلىٰ الله عليه وآله وصحبه وسلم حتىٰ تحول إلىٰ العلو وأبو أيوب الأسفل كما في السيرة الشامية.

قال أبو أيوب وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به إليه فإذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده صلىٰ الله عليه وآله وسلم نبتغي بذلك البركة حتىٰ بعثنا إليه بعشائه وقد جعلنا فيه بصلاً أو ثوماً فرده ولم أجد ليده فيه أثراً فجئته فزعاً قال إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة وأنا رجل أناجي فأما أنتم فكلوه فأكلناه ولم نضع تلك الشجرة بعد.

وفي صحيح مسلم أن أبا أيوب فزع وصعد إليه فقال أحرامٌ هو؟ فقال النبي لا ولكني أكرهه قال فإني أكره ما تكره أو ما كرهت وامتنع عن أكل الثوم والبصل طوال حياته تأدباً مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وجلس رسول الله عند أبي أيوب حتىٰ بنىٰ مسجده ومساكنه فانتقل إليها وبهذا تم الحديث عن هجرته ﷺ.

المبحث الثامن من توالي هجرة أصحابه وهجرة آل بيته

توالت هجرة أصحاب رسول الله ﷺ إلى المدينة وقد بسط جزءاً من ذلك العلامة الكاندهلوي رحمه الله في حياة الصحابة فذكر هجرة عبد بن جحش أبو أحمد وكان شاعراً وكان رجلاً ضرير البصر وكان يطوف أعلاها وأسفلها من غير قائد وكانت عنده الفارعة بنت أبي سفيان وكانت أمه أميمة بنت عبدالمطلب بن هاشم فوثب أبو سفيان بن حرب فباع داره بمكة فمر بها بعد ذلك أبو جهل بن هشام وعتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة والعباس بن عبدالمطلب وحويطب بن عبد العزىٰ وفيها أهب معطونة فذرفت عينا عتبة وتمثل ببيت من شعر:

وكل دار وإن طالت سلامتها
يوماً ستدركها النكباء والحوب[1]

قال أبو جهل وأقبل علىٰ العباس رضي الله عنه فقال هذا ما أدخلتم علينا[2] ولأبي أحمد هذا أبيات في الهجرة ذكرها ابن إسحاق[3] منها:

إلىٰ الله وجهي والرسول ومن يُقِمْ
إلىٰ الله يوماً وجهه لا يخيب
فكم قد تركنا من حميم مناصح
وناصحة تبكي بدمع وتندب

وذكر الكاندهلوي هجرة ضمرة بن أبي العيص أو ابن العيص أحد بني ليث وكان مصاب البصر وكان غنياً خرج ضمرة من بيته مهاجراً فقال لأهله احملوني فأخرجوني من أرض المشركين إلىٰ رسول

---

(١) الحوب الوحشة.
(٢) انظر القصة في حياة الصحابة وسيرة ابن إسحاق والطبراني.
(٣) انظرها في سيرة ابن إسحاق والبداية والنهاية لابن كثير.

الله ﷺ فمات في الطريق قبل أن يصل إلى النبي ﷺ فنزل الوحي ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾[1] (النساء)

وذكر كذلك رحمه الله هجرة واثلة بن الأسقع ﷺ قال واثلة خرجت من أهلي أريد الإسلام فقدمت على رسول الله ﷺ وهو في الصلاة فصففت في آخر الصفوف فصليت بصلاتهم فلما فرغ رسول الله ﷺ من الصلاة انتهى إليّ وأنا في آخر الصفوف فقال ما حاجتك قلت الإسلام قال هو خير لك قال وتهاجر قلت نعم قال هجرة البادي أو هجرة الباتي قلت أيتها خير قال هجرة الباتي قال وهجرة الباتي أن تثبت مع رسول الله ﷺ وهجرة البادي أن يرجع إلى باديته[2] وذكر كذلك هجرة أسلم أخرج أبو نعيم عن إياس بن سلمة بن الأكوع ﷺ قال أصاب أسلم وجع فقال رسول الله ﷺ يا أسلم ابدوا[3] قالوا يا رسول الله نكره أن نرتد ونرجع على أعقابنا فقال رسول الله ﷺ أنتم باديتنا ونحن حاضرتكم إذا دعوتمونا أجبناكم وإذا دعوناكم أجبتمونا أنتم المهاجرون حيث كنتم[4] وذكر كذلك هجرة أهل الحبشة إلى رسول الله ﷺ وذكر كذلك هجرة النساء والصبيان إلى رسول الله ﷺ وهجرة أهل بيت النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنهم ذكرها ابن عبد البر رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها قالت لما هاجر رسول الله ﷺ خلّفنا وخلف بناته فلما استقر يعني بالمدينة بعث زيد بن حارثة وبعث معه أبا رافع رضي

---

(١) قصة هجرة ضمرة أخرجها أبو يعلى بإسناد رجاله ثقات كما في المجمع وانظر حياة الصحابة.
(٢) ذكرها ابن جرير وانظر حياة الصحابة.
(٣) أي اخرجوا إلى البادية.
(٤) انظر حياة الصحابة.

الله عنهما مولاه وأعطاهما بعيرين وخمس مائة درهم أخذاها من أبي بكر ﷺ يشتريان بها ما يحتاجان إليه من الظهر وبعث أبو بكر ﷺ عبدالله بن أريقط ببعيرين أو ثلاثة وكتب إلى عبدالله بن أبي بكر ﷺ أن يحمل أي أم رومان وأنا وأختي أسماء امرأة الزبير رضي الله عنهم فخرجوا مصطحبين فلما انتهوا إلى قديد اشترى زيد بن حارثة بتلك الخمس مائة درهم ثلاثة أبعرة ثم دخلوا مكة جميعاً فصادفوا طلحة بن عبيدالله يريد الهجرة فخرجوا جميعاً وخرج زيد وأبو رافع بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة رضي الله عنهن وحمل زيد أم أيمن وأسامة حتى إذا كنا بالبيداء نفر بعيري وأنا في محفة[1] معي فيها أمي فجعلت تقول وابنتاه واعروساه حتى أدرك بعيرنا وقد هبط التنيه ثنية هرشى فسلم الله.

ثم إنا قدمنا المدينة فنزلت مع آل أبي بكر ونزل آل النبي[2] ﷺ وكان رسول الله ﷺ يبني مسجده[3] ..الخ.

وعند الطبراني عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما أن رجلاً أقبل بزينب رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ فلحقه رجلان من قريش فقاتلاه حتى غلباه عليها فدفعاها فوقعت على صخرة فأسقطت وكانت حاملاً وهريقت دماً فذهبوا بها إلى أبي سفيان فجاءته نساء بني هاشم فدفعها إليهن ثم جاءت بعد ذلك مهاجرة فلم تزل وجعة حتى

---

(١) ركب للنساء كالهودج إلا أنها لا تقبب.

(٢) ذكر في هذه الرواية فاطمة و أم كلثوم رضي الله عنهما ورقية كانت قد هاجرت مع زوجها عثمان رضي الله عنه وزينب رضي الله عنها يأتي خبرها.

(٣) انظر الاستيعاب لابن عبد البر والإصابة لابن حجر وحياة الصحابة.

ماتت من ذلك الوجع فكانوا يرون أنها شهيدة أقول وهو مرسل صحيح.

وذكر الكاندهلوي رحمه الله هجرة ذرة بنت أبي لهب رضي الله عنها وقول النساء لها أنت بنت أبي لهب الذي قال الله تبت يدا أبي لهب وتب .... الآيات ما يغني عنك مهاجرك فشكت لرسول الله ﷺ فقال مالي أوذىٰ في أهلي فوالله إن شفاعتي لتنال حي حا وحكم وصدا وسلهب[1] يوم القيامة[2].

وذكر الكاندهلوي رحمه الله هجرة ابن عباس وأخوه الفضل مع أبي رافع غلامهم سنة خمس من الهجرة وكان عمر عبدالله بن عباس ٨سنة وعمر الفضل بن عباس ١٣ سنة[3] وكان النبي ﷺ بعد هجرته يقنت ويدعو للمستضعفين في مكة عامة ولبعضهم بأسمائهم خاصة فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركعة الأخيرة يقول (اللهم أنج عياش ابن أبي ربيعة اللهم أنج سلمة بن هشام اللهم أنج الوليد بن الوليد اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك علىٰ مضر اللهم اجعلها سنين كسني يوسف) أخرجه البخاري وربيعة بن عياش رضي الله عنه كان قد هاجر إلىٰ المدينة مع عمر قال عمر فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقباء وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلىٰ عياش بن أبي ربيعة وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما حتىٰ قدما المدينة ورسول الله ﷺ بمكة فكلماه وقالا إن أمك قد نذرت أن لا تمس رأسها حتىٰ تراك ولا تستظل من شمس

---

(١) أسماء قبائل.
(٢) انظر حياة الصحابة وحديثها عند الطبراني.
(٣) انظر حياة الصحابة وقصتهم عند الطبراني.

حتىٰ تراك فرق لها قال عمر فقلت له عياش إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم فو الله لو قد آذىٰ أمك القمل لامتشطت ولو قد أشتد عليها حر مكة لاستظلت قال عياش أبر قسم أمي ولي هناك مال فآخذه قال عمر فقلت والله إنك لتعلم إني لمن أكثر قريش مالاً فلك نصف مالي ولا تذهب معهما قال عمر فأبىٰ عليّ إلا أن يخرج معهما فلما أبىٰ إلا ذلك قال قلت له أما إذ قد فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها فإن رابك من القوم ريب فانج عليها فخرج عليها معهما حتىٰ إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل يا أخي والله لقد استغلظت بعيري هذا أفلا تعقبني علىٰ ناقتك هذه؟ قال بلىٰ قال فأناخ وأناخ ليتحول عليها فلما استووا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه ثم دخلا به مكة وحبسوه في بيت لا سقف له زيادة في التعذيب إذ يضاف إلىٰ وحشة الحبس حرارة الشمس وسط بيئة جبلية شديدة الحرارة مثل مكة ولم يترك المسلمون أمر اختطاف عياش فقد ندب الرسول ﷺ أحد أصحابه لذلك واستعد فعلاً للمهمة ونجح فيها[1].

(١) قصته مشهورة جداً عند علماء السير رحمهم الله تعالىٰ وهي قصة صحيحة.

المبحث التاسع الهجرة تضحية عظيمة في سبيل الله عز وجل

كانت هجرة النبي ﷺ وأصحابه عن البلد الأمين تضحية عظيمة عبر عنها النبي ﷺ بقوله (والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت) الترمذي وقال حسن غريب صحيح وعن عائشة رضي الله عنها قالت لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى وكان واديها يجري نجلا - يعني ماء آجناً - فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال في بيت واحد فأصابتهم الحمى فاستأذنت رسول الله ﷺ في عيادتهم فأذن فدخلت إليهم أعودهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب وبهم مالا يعلمه إلا الله من شدة الوعك فدنوت من أبي بكر فقلت يا أبت كيف تجدك؟ فقال:

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

قالت فقلت والله ما يدري أبي ما يقول ثم دنوت من عامر بن فهيرة فقلت كيف تجدك يا عامر؟ فقال لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه:

كل امرئ مجاهد بطوقه[1] كالثور يحمي جلده بروقه[2]

قالت فقلت والله ما يدري عامر ما يقول قالت وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى اضطجع بفناء البيت ثم يرفع عقيرته[3] ويقول:

---

(١) بطاقته.

(٢) بقرنه.

(٣) عقيرته: صوته .

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل[1]

قالت فأخبرت رسول الله ﷺ بذلك فقال (اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد وانقل حُمَّاها إلى الجحفة اللهم بارك لنا في مدنا وصاعنا) أخرجه البخاري.

فاستجاب الله لنبيه فأصبحت المدينة سالمة من الوباء والطاعون محروسة من الدجال كما صحت به الأحاديث وحصل لأهلها البركة على الضعف مما حصل لمكة ففي صحيح مسلم عنه ﷺ (اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك وإني عبدك ونبيك وإنه دعاك لمكة وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه) فالمدينة كهف الإيمان قال رسول الله ﷺ (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها) يأرز ينضم ويجتمع أخرجه البخاري وهي تنفي الذنوب والأوزار قال رسول الله ﷺ (إنها طيبة تنفي الذنوب كما تنفي النار خبث الفضة) البخاري وقد حرمها رسول الله ﷺ فقال (اللهم إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت مابين لابتيها يعني المدينة فطوبى لأهلها وهنيئاً لمن مات فيها) قال ﷺ (من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فإني أشفع لمن يموت بها) أخرجه أحمد بإسناد صحيح فيا الله يا الله يا الله يا حي يا قيوم اختم لنا بالحسنى في مدينة رسولك الأعظم حبيبنا الأكرم بجاهه عندك آمين.

---

(١) شامة وطفيل جبلان مشرفان على مجنة يريد مكة.

المبحث العاشر ثناء الله للمهاجرين

أولاً: أهم الصفات المميزة للمهاجرين

١- الإخلاص: قال تعالى ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ (الحشر: ٨).

٢- الصبر: قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (النحل)

٣- الصدق: قال تعالى ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (الحشر).

٤- الجهاد والتضحية: قال تعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (التوبة).

٥- نصرهم لله ورسوله قال تعالى عن المهاجرين ﴿ وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (الحشر).

٦- التوكل على الله: قال تعالى عن المهاجرين ﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (النحل).

٧- الرجاء: قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ (البقرة).

٨- اتباع الرسول في العسرة: قال تعالى ﴿ لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ (التوبة).

٩- حق السبق في الإيمان والعمل: قال تعالى ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا

عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (التوبة).

١٠- الفوز: قال تعالى عن المهاجرين ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ التوبة

١١- الإيمان: قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ (الأنفال).

ثانياً الوعد للمهاجرين

١- سعة رزق الله لهم في الدنيا قال تعالى ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ (النساء).

٢- تكفير سيئاتهم ومغفرة ذنوبهم قال تعالى ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (آل عمران) .

٣- ارتفاع منزلتهم عند الله قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (التوبة)

٤- تبشيرهم بالجنة والخلود فيها قال تعالى عن المهاجرين ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (التوبة).

خاتمة مشتملة على خمس فوائد

الفائدة الأولى

أخرج أبو نعيم عن جنادة قال هاجرنا على عهد النبي ﷺ فاختلفنا في الهجرة فقال بعضنا انقطعت وقال بعضنا لم تنقطع فدخلت على رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فقال لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار قال الخطابي كانت الهجرة إلى النبي ﷺ في أول الإسلام مطلوب ثم افترضت لمّا هاجر إلى المدينة إلى حضرته ﷺ للقتال معه وتعلم شرائع الدين وقد أكد الله ذلك في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر فلما فتحت مكة ودخل الناس في الإسلام من جميع القبائل سقطت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب وقال البغوي في شرح السنة يحتمل الجمع بين هذا وبين حديث ابن عباس رضي الله عنهما وغيره لا هجرة بعد الفتح بطريق أخرى بقوله لا هجرة بعد الفتح أي من مكة إلى المدينة وقوله لا تنقطع أي من دار الكفر في حق من أسلم إلى دار الإسلام ا.هـ.

وقد أفصح ابن عمر رضي الله عنهما بالمراد فيما أخرجه الإسماعيلي بلفظ (انقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رسول الله ﷺ ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار أي مادام في الدنيا دار كفر فالهجرة واجبة منها على من أسلم وخشي أن يفتن عن دينه) ومفهومه أنه لو قُدّر أن لا يبقى في الدنيا دار كفر أن الهجرة تنقطع لانقطاع موجبها[1].

(١) انظر فتح الباري.

الفائدة الثانية التاريخ بالهجرة

الأمم خاصة العريقة منها لابد لها من تأريخ وكلما كان التأريخ دقيقاً كلما كان أشرف وأفضل ولقد كان للعرب تأريخ لكنه لم يك عاماً وإنما كان بالنسبة لأمر بارز فكانوا يعرفون الشهور أما الأعوام فالنسبة لأمر بارز فقالوا قبل حادثة الفيل بكذا سنة أو عام الفيل أو بعد الفيل وهكذا وبدهي أن هذا ليس دقيقاً كما أنه ليس قاسماً مشتركاً يعرفه الجميع فلما قامت دولة الإسلام وكثرت الأحداث شعر أئمتها بحاجتهم للتاريخ من ذلك:

١- ما حدث لعمر فلقد رفع له صك محله شعبان فقال أي شعبان الماضي أو الذي نحن فيه أو الآتي؟ ضعوا للناس شيئاً يعرفونه.

٢- ما حدث لعمر أيضاً حينما كتب له أبو موسى إنه يأتينا منك كتب ليس لها تأريخ فجمع عمر الناس فقال بعضهم أرخ بالهجرة فقال عمر الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخوا بها وذلك سنة سبع عشرة فلما اتفقوا قال بعضهم ابدؤوا برمضان فقال عمر بل بالمحرم فإنه منصرف الناس من حجهم فاتفقوا عليه وورد أنه لما شعروا بحاجتهم للتأريخ كان أمامهم أربع قضايا يمكن التأريخ بأي واحدة منها مولده ﷺ ومبعثه وهجرته ووفاته فرجح عندهم جعلها من الهجرة لأن المولد والمبعث لا يخلو واحد منهما من النزاع في تعيين السنة وأما وقت الوفاة فأعرضوا عنه لأنه يذكر بوفاته ﷺ وهذا يورث حسرة عليه فانحصر في الهجرة وإنما أخره من ربيع الأول إلى المحرم لأن ابتداء العزم على الهجرة كان في المحرم إذ البيعة أثناء ذي الحجة وهي مقدمة الهجرة فكان أول هلال استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة هلال المحرم فناسب أن يجعل مبتدأ كما أنه – أي المحرم – شهر حرام فناسب وهو

منصرف الناس من الحج[1] وعن سعيد بن المسيب قال جمع عمر الناس فسألهم من أي يوم يكتب التاريخ فقال علي بن أبي طالب من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرض الشرك ففعله عمر رضي الله عنه[2].

الفائدة الثالثة وعد الله عز وجل لنبيه بالعودة إلى مكة

بينما رسول الله ﷺ مهاجراً من مكة إلى المدينة نزل عليه الوحي يبشره بأن الله سبحانه وتعالى سيفتح عليك مكة وعما قريب ستصبح دار إسلام أنزل عليه سبحانه وتعالى وهو بالجحفة ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ (القصص: ٨٥) إلى مكة فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ قال إلى مكة[3] وهذه الآية الوحيدة التي نزلت أثناء الهجرة نزلت تطمينا له ﷺ وتسلية حينما اشتاق إلى مكة.

الفائدة الرابعة من المهاجر

قال عليه الصلاة والسلام المهاجر من هجر السيئات، البخاري ومسلم وأبو داود.

الفائدة الخامسة كيف تهاجر إلى رسول الله ﷺ

عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (عبادة في الهرج كهجرة إليّ) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه.

---

(١) انظر فتح الباري.
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك.
(٣) أخرجه البخاري.

الهرج هو الاختلاف في الفتن وقد فسر في بعض الأحاديث بالقتل لأن الفتن والاختلاف من أسبابه فأقيم المسبب مقام السبب[1] وهذا آخر ما تيسر جمعه.

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين آمين

عصر السبت علة التاسع عشر من ذي الحجة ١٤٢٥هـ

(١) قاله المنذري في الترغيب.

إن الهجرة النبوية حدث تأريخي هام ونقطة تحول في تأريخ الدعوة والداعية
تركت آثارها في واقع المسلمين فهي وبدر الكبرى والفتح الأكبر في مرتبة واحدة
وإن كان ما بعدها هو متفرع عنها وتابع لها في التاريخ

دار أبي حنيفة للنشر والتوزيع
الحديدة - اليمن، هاتف: 777024320
daroabihanifah@gmail.com